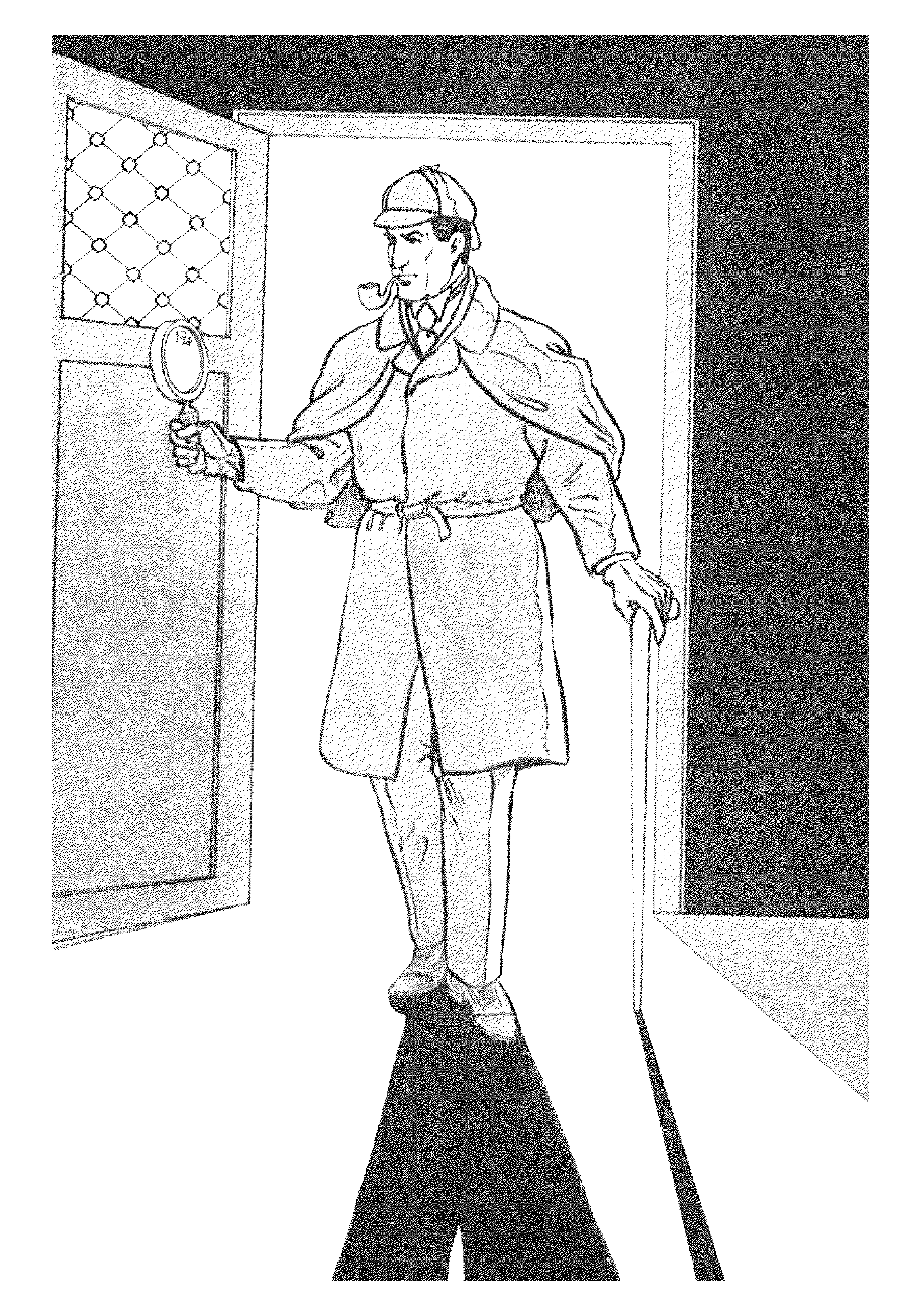
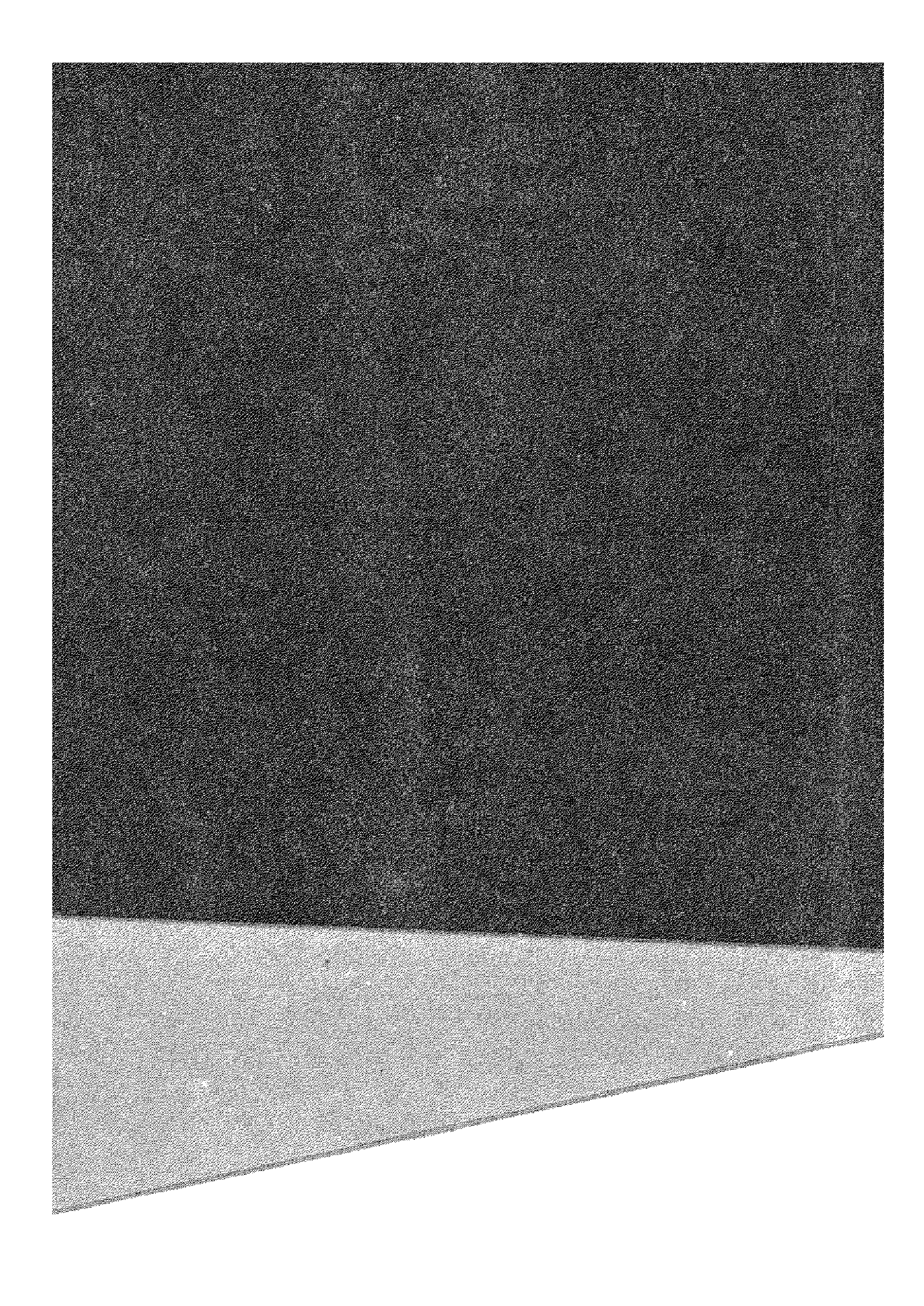

مغامرات شرلوك هولمز
الماسة الزرقاء
وقصص أخرى
Bibliotheca Alexandrina
01004995


المأساة الزرقاء
وقصص أخرى





رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٥٩٦ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٩٤ - X

طبع في دار نوبار للطباعة



معامرات شرلوك هولمز

الماسة الزرقاء وقصص أخرى

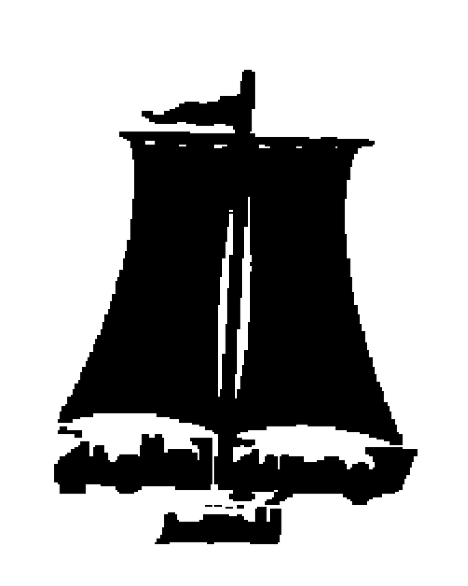


تأليف : سير آرثر كونان دويل

أعدها بالعربية : خالد محمد دادآغا

راجعها : الدكتور إبراهيم عوض

رسوم : عبد الشافي سيد



الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

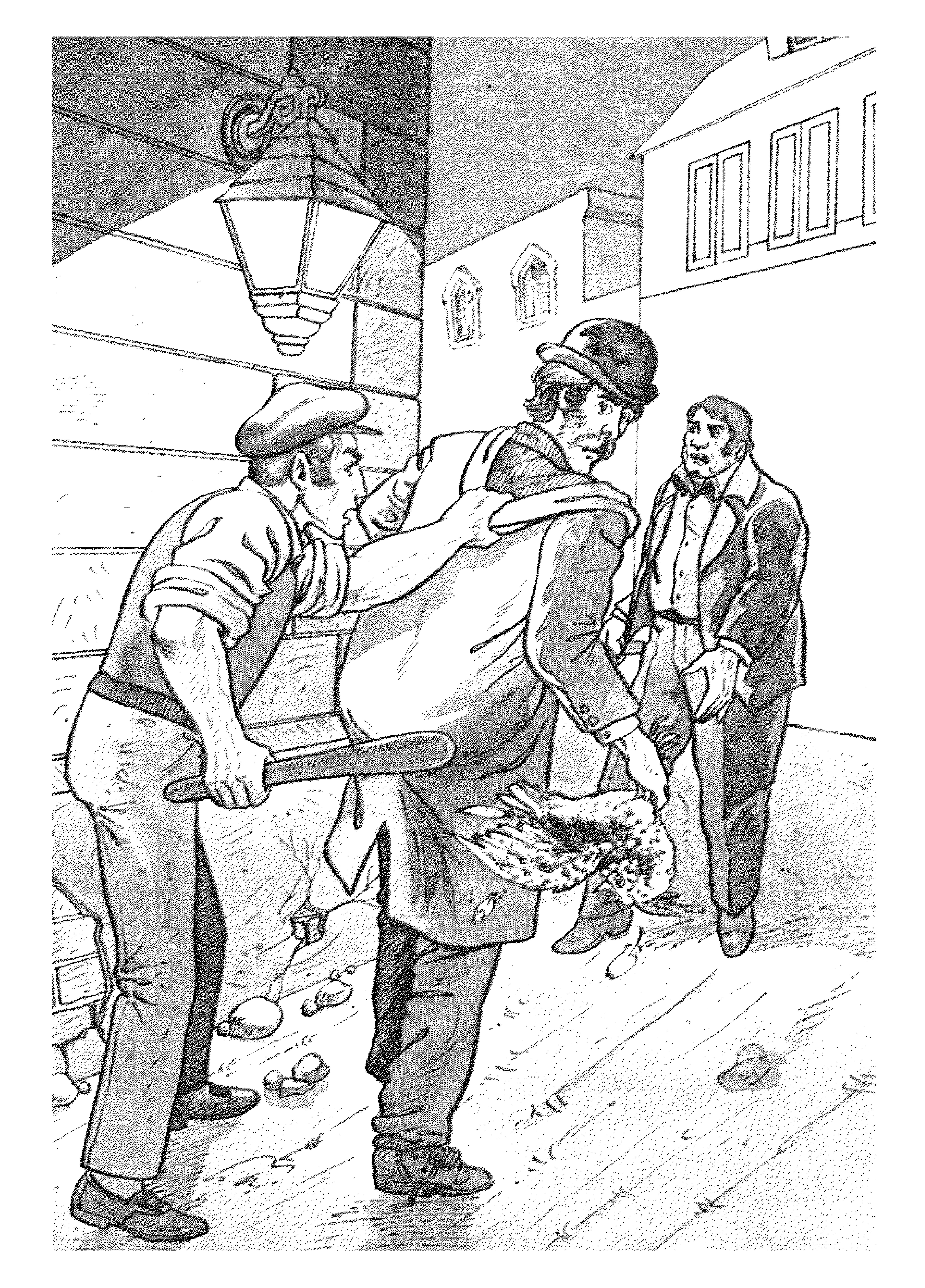
الماسَة الزَّرْقاء

ذاتَ يَوْمٍ مِنْ أيّام الشِّتاءِ الماضي ذَهَبْتُ لِمُقابَلَةِ شِرْلوك هُولْمز. وَكانَ ذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ السّابِعَ وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر (كانون الأوّل). كانَ هُولْمز جالِساً في مَقْعَدٍ وَثيرٍ يَنْظُرُ إلى قُبَّعَةٍ قَديمَةٍ.

سَأَلْتُهُ: «هَلْ أَنْتَ مَشْغولٌ، يا هُولْمز؟»

أجابَ: «لا، عَلى الإطْلاقِ، يا واطْسُن، وَيَسُرُّني مَجيئُكَ. إنَّكَ تَعْرِفُ الكابتن بيتَرْسون. لَقَدْ أَحْضَرَ إليَّ هَذِهِ القُبَّعَةَ، كَما أَحْضَرَ مَعَهُ دَجاجَةً، وَسَوْفَ يَسْتَمْتِعُ بِالْتِهامِها اليَوْمَ. سَأَحْكي لَكَ القِصَّةَ:

«مُنْذُ يَوْمَيْنِ، كانَ بيتَرْسون يَسيرُ في شارِعِ غودج عائِداً مِنْ حَفْلَةٍ امْتَدَّتْ حَتّى الثّالِثَةِ صَباحاً. وَعَلى ضَوْءِ مَصابيحِ الشّارِعِ رَأى أمامَهُ رَجُلاً طَويلَ القامَةِ، يَحْمِلُ دَجاجَةً تَحْتَ ذِراعِهِ، وَفَجْأَةً لاحَ



مِنَ الظِّلِّ رَجُلانِ أوْقَفا الرَّجُلَ الطَّويلَ ، وَنَشِبَ بَيْنَهُمْ شِجارٌ ، فَضَرَبَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ الرَّجُلَ الطَّويلَ فَسَقَطَتْ قُبَّعَتُهُ عَلى الأرْضِ ، وَحاوَلَ الرَّجُلُ الطَّويلُ ضَرْبَ المُعْتَدي بِعَصاهُ لَكِنَّها أَخْطَأَتْهُ فَحَطَّمَتْ واجِهَةَ أَحَدِ الحَوانيتِ . وَأَسْرَعَ الكابتن بيتَرْسون إلى نَجْدَةِ الرَّجُلِ الطَّويلِ الَّذي صاحَ مُسْتَنْجِداً حينَ رَآهُ : « الشُّرْطَةُ !» ، وَهَرِعَ لِنِهايَةِ الشّارِعِ ، وَتَبِعَهُ الرَّجُلانِ في حينَ بَقِيَتْ عَلى الأرْضِ قُبَّعَةٌ وَدَجاجَةٌ .»

سَأَلْتُ : « لِمَ لَمْ يُرْجِعْهُما لِلرَّجُلِ الطَّويلِ ؟»

أجابَ : « لأنَّ الرَّجُلَ الطَّويلَ كانَ قَدِ اخْتَفى ، يا واطْسُن . لكِنْ كانَتْ عَلى ساقِ الدَّجاجَةِ بِطاقَةٌ مَكْتوبٌ عَلَيْها : « مِنْ أَجْلِ السَّيِّدَةِ بيكَر » وَكانَ اسْمُ هَنْري بيكَر مَكْتوباً داخِلَ القُبَّعَةِ أَيْضاً . وَحاوَلَ بيتَرْسون أنْ يَعْثُرَ عَلى الرَّجُلِ ، لكِنَّ عَدَدَ الَّذينَ يَحْمِلونَ هَذا الاسْمَ في مَدينَةِ لندن يَتَجاوَزُ المِئاتِ .»

سَأَلْتُهُ : « ماذا فَعَلَ إذاً ؟»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ أَحْضَرَ القُبَّعَةَ وَالدَّجاجَةَ إلَيَّ ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ أنَّ مِثْلَ هَذِهِ المُشْكِلاتِ الصَّغيرَةِ تُثيرُ اهْتِمامي . فَاحْتَفَظْتُ بِالدَّجاجَةِ حَتّى اليَوْمِ ، لكِنَّني لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الاحْتِفاظِ بِها مُدَّةً أَطْوَلَ ؛ فَقَدِ

اسْتَعادَها ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ يَلْتَهِمُها الآنَ .»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ انْفَتَحَ البابُ ، وَانْدَفَعَ الكابتن بيتَرسْون داخِلاً الغُرْفَةَ . وَكانَ في غايَةِ الاضْطِرابِ ، وَصاحَ : « الدَّجاجَةُ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ! الدَّجاجَةُ !»

قالَ هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟ هَلْ عادَتْ إِلى الحَياةِ ، وَطارَتْ مِنَ النّافِذَةِ ؟»

صاحَ بيتَرْسون : « انْظُرْ ماذا وَجَدْتُ زَوْجَتي داخِلَ الدَّجاجَةِ .» وَمَدَّ يَدَهُ ، فَإِذا نَحْنُ أَمامَ حَجَرٍ أَزْرَقَ جَميلٍ يَشِعُّ بِبَريقٍ أَخّاذٍ .

صاحَ هُولْمز : « يا إِلَهي ! لَقَدْ عَثَرْتُ عَلى كَنْزٍ ، يا بيتَرْسون ! هَلْ تَدْري ما هَذِهِ ؟»

أَجابَ بيتَرْسون : « إِنَّها ماسَةٌ ثَمينَةٌ لِلْغايَةِ .»

قالَ هُولْمز : « إِنَّها أَكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ ماسَةٍ ، إِنَّها الماسَةُ الزَّرقاءُ ذائِعَةُ الصّيتِ .»

سَأَلْتُ : « أَ لَيْسَتْ هَذِهِ ماسَةَ اللّيدي مورْكار الزَّرقاءَ ؟»

أَجابَ هُولْمز : « إِنَّها هِيَ بِالطَّبْعِ ، فَأَنا أَعْرِفُ حَجْمَها وَشَكْلَها ؛ لأَنَّني قَرَأْتُ عَنْها الكَثيرَ في الصُّحُفِ . لَقَدْ رَصَدَتْ اللّيدي مورْكار

مُكافأةً قَدْرُها أَلْفُ جُنَيْهٍ لِمَنْ يَسْتَرْجِعُها .»

قالَ بيتَرْسون : « أَلْفُ جُنَيْهٍ ؟ إذاً لا بُدَّ أَنَّها تُساوي أَضْعافَ ذَلِكَ عِشْرينَ مَرَّةً !»

سَأَلْتُ : « أَلَيْسَتْ هِيَ الَّتي سُرِقَتْ مِنَ اللَّيدي مورْكار في فُنْدُقِ كوزْموبوليتان ؟»

أجابَ هُولْمز : « هَذا صَحيحٌ ؛ فَقَدْ سُرِقَتْ في الثّاني وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر (كانون الأوّل) ، وَمُنْذُ خَمْسَةِ أَيّامٍ عَلى وَجْهِ التَّحْديدِ . وَتَقولُ الشُّرْطَةُ : إنَّ رَجُلاً يُدْعى جون هورْنَر هُوَ الَّذي سَرَقَها . وَقَدْ نُشِرَ في الصَّحيفَةِ تَقْريرٌ حَوْلَ ذَلِكَ .» ثُمَّ بَحَثَ هُولْمز في رُكامٍ مِنَ الصُّحُفِ وَقالَ : « ها هُوَ ذا التَّقْريرُ : «« سُرِقَتْ ماسَةُ اللَّيدي مورْكار الَّتي كانَتْ تَنْزِلُ في فُنْدُقِ كوزموبوليتان . وَقَدِ اخْتَفَتْ الماسَةُ الزَّرْقاءُ الشَّهيرَةُ مِنْ حُجْرَتِها في الفُنْدُقِ يَوْمَ الثّاني وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر (كانون الأوّل) . وَتَعْتَقِدُ الشُّرْطَةُ أَنَّ رَجُلاً يُدْعى جون هورنر هُوَ الَّذي سَرَقَها ، وَهُوَ في السّادِسَةِ وَالعِشْرينَ مِنَ العُمْرِ ، وَيَعْمَلُ في الفُنْدُق المَذْكورِ . وَيَقولونَ إنَّ جيمس رايدر –وَهُوَ نادِلٌ في الفُنْدُقِ – لاحَظَ وُجودَ مِنْضَدَةٍ مَكْسورَةٍ في حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ ؛ فَطَلَبَ مِنْ هورنر إصْلاحَها ، وَتَوَجَّهَ مَعَهُ إلى الحُجْرَةِ لِيُرِيَهُ المِنْضَدَةَ وَكانَ عَلى رايدر أَنْ يُغادِرَ الحُجْرَةَ لِدَقائِقَ مَعْدوداتٍ ، وَعِنْدَما

عادَ لَمْ يَجِدْ هورْنر . وَعَلى أَرْضِ الغُرْفَةِ وَجَدَ عُلْبَةَ مُجَوْهَراتٍ مَكْسورَةً وَمُلْقاةً . وَتَقولُ الشُّرْطَةُ إِنَّ الماسَةَ الزَّرْقاءَ كانَتْ داخِلَ تِلْكَ العُلْبَةِ . وَقَدِ اسْتَجْوَبَ رِجالُ الشُّرْطَةِ هورْنر في الحالِ ، فَأَنْكَرَ رُؤْيَةَ العُلْبَةِ كَما أَنْكَرَ وُجودَ الماسَةِ أَيْضاً . إِنَّ هورْنر مَعْروفٌ لَدى رِجالِ الشُّرْطَةِ ؛ لأَنَّهُ سَبَقَ أَنْ سَرَقَ نُقوداً مِنْ حُجْرَةٍ في الفُنْدُقِ .»»

عَقَّبَ هُولْمز : « تِلْكَ هِيَ القِصَّةُ . إِنَّنا نَعْرِفُ نِهايَتَها فَقَطْ .»

قالَ بيتَرْسون : « أَجَلْ . لَقَدْ انْتَهَتِ القِصَّةُ ، وَالماسَةُ في بَطْنِ الدَّجاجَةِ !»

قُلْتُ : « لَقَدِ اخْتَفَتِ الماسَةُ مِنْ حُجْرَةِ اللَّيدي مورْكار ، فَكَيْفَ آلَتْ إِلى بَطْنِ الدَّجاجَةِ ؟»

قالَ هُولْمز : « تُدْرِكُ الآنَ ، يا واطْسُن ، كَما أُدْرِكُ أَنَّ القُبْعَةَ القَديمَةَ وَالدَّجاجَةَ هامَّتان . نَحْنُ الآنَ أَمامَ جَريمَةٍ . وَها هِيَ ذي الماسَةُ الزَّرْقاءُ الَّتي وُجِدَتْ داخِلَ بَطْنِ الدَّجاجَةِ . إِنَّ السَّيِّدَ هنري بيكَر تَسَلَّمَ الدَّجاجَةَ ، وَالخُطْوَةُ التّالِيَةُ هِيَ البَحْثُ عَنْهُ . وَلَعَلَّ أَفْضَلَ طَريقٍ لِذَلِكَ هُوَ طَريقُ الصَّحافَةِ . إِليَّ بِقَلَمٍ وَ وَرَقَةٍ ، يا واطْسُن ، فَسَأُرْسِلُ الآنَ هَذا الإِعْلانَ إِلى الصَّحيفَةِ : «« عُثِرَ في شارِعِ غودج عَلى دَجاجَةٍ وَقُبَّعَةٍ سَوْداءَ يُرْجى مِنَ السَّيِّدِ هَنْري بيكَر التَّكَرُّمُ

بِالْمجيءِ إلى العُنْوانِ التّالي لاسْتِلامِ دَجاجَتِهِ وَقُبَّعَتِهِ : ٢٢١ ب ، شارِعُ بيكَر ›› .»

سَأَلْتُهُ : « هَلْ تَعْتَقِدُ أَنْ يَقْرَأَ السَّيِّدُ بيكَر هَذا الإعلانَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « آمُلُ أَنْ يَراهُ .» وَالْتَفَتَ إلى بيتَرْسون قائِلاً : « إِنَّ مَقَرَّ الصَّحيفَةِ يَقَعُ في طَريقِكَ إِلى البَيْتِ ، يا بيتَرْسون ، فَهَلّا أَوْصَلْتَ هَذا الإعلانَ إِلَيْهِمْ ؟»

قالَ بيتَرْسون : « بِالتَّأْكيدِ ، لَكِنْ ماذا سَتَفْعَلُ أَنْتَ بِالماسَةِ ؟»

قالَ هُولْمز : « سُؤالُكَ في مَحَلِّهِ حَقًّا . ماذا سَأَفْعَلُ بِها ؟ إِنَّني سَأَحْتَفِظُ بِها لِبَعْضِ الوَقْتِ ثُمَّ أَرُدُّها إِلى اللَّيدي مورْكار . شُكْرًا لَكَ يا بيتَرْسون .»

خَرَجَ بيتَرْسون ، فَقالَ هُولْمز : « سَوْفَ يَأْتي السَّيِّدُ هَنْري بيكَر لأَخْذِ دَجاجَتِهِ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَشْتَرِيَ بَديلَةً عَنْها .» وَرَفَعَ الماسَةَ أَمامَ المِصْباحِ ، وَصاحَ : « يا لَهُ مِنْ حَجَرٍ بَديعٍ ! سَأَضَعُهُ في مَكانٍ أَمينٍ ، ثُمَّ أُرْسِلُ خِطابًا إِلى اللَّيدي مورْكار ، فَالنَّبَأُ سَوْفَ يُسْعِدُها .»

سَأَلْتُ : « هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ جون هورْنر هُوَ الَّذي سَرَقَ الماسَةَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « يَقولُ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ .»

سَأَلْتُ : « كَيْفَ حَصَلَ هَنْري بيكَر عَلى الماسَةِ إذاً ؟»

أجابَ هُولْمز : « لَمْ يَسْرِقْ هَنْري بيكَر الماسَةَ الزَّرْقاءَ ، ولَعَلَّها كانَتْ في دَجاجَتِه دونَ عِلْمِه . وَأَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنْها. عَلى أَيَّةِ حالٍ سَوْفَ نَتأَكَّدُ مِنْ ذَلِكَ .»

سَأَلْتُ : « مَتى ؟»

قالَ : « عِنْدَما يأتي لاسْتِلامِ دَجاجَتِهِ .»

سَأَلْتُ : « أَ لا نَسْتَطيعُ عَمَلَ شَيْءٍ قَبْلَ ذَلِكَ ؟»

أجابَ هُولْمز : « لا شَيءَ عَلى الإطْلاقِ .»

قُلْتُ : « سَأَذْهَبُ الآنَ لِقَضاءِ بَعْضِ أَعْمالي ، وَسَوْفَ أَعودُ مَساءً ؛ فإني تَوّاقٌ لأعْرِفَ أَحْداثَ هَذِهِ القِصَّةِ .»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ يَسُرُّني أَنْ أَراكَ . تَعالَ لِتَناوُلِ العَشاءِ مَعي . سَنَتَناوَلُ دَجاجَةً .» وَأَضافَ مُبْتَسِماً : « وَسَأَنْظُرُ في بَطْنِها ؛ لَعَلِّي أَعْثُرُ عَلى ماسَةٍ أنا أَيْضاً .»

وَعُدْتُ في ذَلِكَ المَساءِ إلى شارِعِ بيكَر ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً طَويلاً يَقِفُ عِنْدَ البابِ . وَلَمّا فَتَحَ هُولْمز لَهُ البابَ بادَرَهُ قائِلاً : « لا بُدَّ أَنَّكَ السَّيِّدُ هَنْري بيكَر ، تَفَضَّلْ بالدُّخولِ . أَهْلاً ، يا واطْسُن ، لَقَدْ جِئْتَ

في الوَقْتِ المُناسِبِ .»

وَصَعِدْنا جَميعًا إلى حُجْرَةِ هُولْمز .

قالَ هُولْمز : « تَفضَّلوا بِالجُلوسِ قُرْبَ المِدْفَأةِ ؛ فَاللَّيْلُ بارِدٌ حَقًّا .» ثُمَّ حَمَلَ القُبَّعَةَ القَديمَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَ الرَّجُلَ : « أ هِيَ قُبَّعَتُكَ ، يا سَيِّدُ بيكَر ؟»

أجابَ بيكَر عَلى الفَوْرِ : « أجَلْ ، إنَّها هِيَ .»

كانَ هَنْري بيكَر رَجُلاً طَويلاً ذا شَعْرٍ أشْيَبَ ، عَلَيْهِ ثِيابٌ رَثَّةٌ تَدُلُّ عَلى فَقْرِه .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ احْتَفَظْتُ لَكَ بِقُبَّعَتِكَ .»

قالَ هَنْري بيكَر : « شُكْرًا لَكَ . لَقَدْ خُيِّلَ إلَيَّ أنَّني فَقَدْتُها إلى الأبَدِ بَعْدَ أنْ هاجَمَني نَفَرٌ مِنَ الرِّجالِ في الشّارِعِ .»

قالَ هُولْمز : « أمّا دَجاجَتُكَ فَقَدْ أكَلْتُ .»

صاحَ هَنْري بيكَر مُلْتاعًا : « أكَلْتَ ! إذًا لِماذا جِئْتُ إلى هُنا ؟»

قالَ هُولْمز : « لا تَبْتَئِسْ ! عِنْدي لَكَ دَجاجَةٌ أُخْرى تَسْتَطيعُ أخْذَها ، وَهِيَ بِحَجْمِها وَجَوْدَتِها . فَهَلْ تَرْغَبُ في تَناوُلِها ؟» قالَ هَنْري بيكَر : « طَبعًا يا سَيِّدي ، وَأنا جِدُّ شاكِرٍ لَكَ .»

قالَ هُولمز : « إلَيْكَ الدُّجاجَةَ والقُبَّعَةَ . ولَديَّ سُؤالٌ واحِدٌ فَقَطْ أُريدُكَ أنْ تُجيبَني عَنْهُ : مِنْ أيْنَ اشْتَرَيْتَ دجاجَتَكَ ؟»

قالَ بيكر : « اشْتَرَيْتُها مِنْ عِنْدِ السَّيِّدِ ويندِيغيت ، مالِكِ فُنْدُقِ ألفا القَريبِ مِنَ المَتْحَفِ البريطانيِّ . إنَّني الآنَ رَجُلٌ بِلا عَمَلٍ ، وأمْضي مُعْظَمَ أيّامي في المَتْحَفِ . أنا رَجُلٌ مُعْدَمٌ ، يا سَيِّدي ، وقَدِ اشْتَرَيْتُ الدَّجاجَةَ على أقْساطٍ أدْفَعُها لِلسَّيِّدِ ويندِيغيت أسْبوعِيًّا . شُكْرًا لَكَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، عَلى القُبَّعَةِ ؛ فأنا بِحاجَةٍ ماسَّةٍ إلَيْها ، فاللَّيْلُ شَديدُ البُرودَةِ .» وانْصَرَفَ الرَّجُلُ .

أغْلَقَ هُولمز البابَ وراءَهُ ، وقالَ : « باسْتِطاعَتِنا نِسْيانُ أمْرِ السَّيِّدِ هنْري بيكر ؛ فَهُوَ لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الماسَةِ . هَلْ أنْتَ جائِعٌ ، يا واطْسُنْ ؟»

قُلْتُ : « لَيْسَ إلى حَدٍّ بَعيدٍ .»

قالَ : « إذًا نَسْتَطيعُ إرْجاءَ عَشائِنا ، فَلَدَيْنا الآنَ عَمَلٌ يَجِبُ أنْ نَقومَ بِهِ .» ومَضَيْنا مُسْرِعَيْنِ عَبْرَ شَوارِعِ لندن . وكانَ البَرْدُ قارِسًا ، والسَّماءُ صافِيَةً ، والنُّجومُ مُتَلألِئَةً . وبَعْدَ رُبْعِ السّاعَةِ ، وَصَلْنا إلى فُنْدُقِ ألفا وَ دَخَلْناهُ . وسَألَ هُولمز عَنِ السَّيِّدِ ويندِيغيت . وحينَ أقْبَلَ الرَّجُلُ بادَرَهُ هُولمز قائِلاً : « بِوُدّي أنْ أشْتَرِيَ بَعْضًا مِنْ

دَجاجِكِ .»

قالَ السَّيِّدُ وينديغيت : « إِنَّهُ لَيْسَ دَجاجي أنا . لَقَدِ اشْتَرَيْتُهُ مِنْ سوقِ حَديقَةِ كوفنت .»

سَأَلَ هُولْمز : « مَنِ الَّذي باعَكَ إِيّاهُ ؟»

أجابَ ويندیغیت : « رَجُلٌ يُدْعى بِريكِنْريدْج .»

وَبَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ كُنّا في طَريقِنا إلى سوقِ حَديقَةِ كوفنت .

قالَ هُولْمز : « نَحْنُ ذاهِبانِ لِلِقاءِ السَّيِّدِ بِريكِنْريدْج . لَقَدْ باعَ الدَّجاجَةَ وَالماسَةُ في بَطْنِها . لكِنْ مِنْ أَيْنَ جاءَ بِالدَّجاجَةِ ؟ ذَلِكَ هُوَ السُّؤالُ .»

وَصَلْنا إِلى السّوقِ فَوَجَدْنا السَّيِّدَ بِريكِنْريدْج دونَ كَثيرِ عَناءٍ ، وَكانَ يَسْتَعِدُّ لِمُغادَرَةِ المكانِ . وَبادَرَهُ هُولْمز مُحَيِّياً : « مَساءُ الخَيْرِ ، هَلْ نَفَذَ كُلُّ ما لَدَيْكَ مِنْ دَجاجٍ ؟»

قالَ بِريكِنْريدْج : « أَجَلْ ، لَكِنَّني سَأَجْلُبُ مَزيداً مِنْها غَداً .»

قالَ هُولْمز : « سَيَكونُ ذَلِكَ بَعْدَ فَواتِ الأَوانِ .»

قالَ الرَّجُلُ وَقَدْ أَشارَ إِلى بائِعٍ قَريبٍ مِنْهُ : « عِنْدَهُمْ بَعْضُ الدَّجاجِ هُناكَ .»

قالَ هُولْمز : « لكِنِّي أقْصِدُكَ أنْتَ بِالذّاتِ ، فَأنا مبْعوثٌ إلَيْكَ .»

قالَ الرَّجُلُ : « وَمَنِ الّذي بَعَثَكَ إليَّ ؟»

أجابَ هُولْمز : « السَّيِّدُ ويِنديغيت مِنْ فُنْدُقِ ألفا .»

قالَ الرَّجُلُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ بِعْتُهُ مِنْها أرْبعًا وَعِشْرينَ دَجاجَةً .»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ كانَتْ جَيِّدَةً حَقًّا . مِنْ أيْنَ اشْتَرَيْتَها ؟»

قالَ بِريكِنْريدْج وَقَدْ ضاقَ صَدْرُهُ : « وَلِمَ تُريدُ أنْ تَعْرِفَ ؟»

قالَ هُولْمز : « لَيْسَ ذَلِكَ بِالمُهِمِّ . لكِنْ ما الّذي أغْضَبَكَ ؟»

قالَ بِريكِنْريدْج : « إنَّني غاضِبٌ لأنَّني مُرْهَقٌ مِنْ أمْثالِكَ مِنَ النّاسِ . لَقَدْ تَرَدَّدَ عَلَيَّ اليَوْمَ رَجُلٌ ثَقيلٌ أتعبَتْني أسْئِلَتُهُ الحَمْقاءُ . لَقَدْ سَألَني أيْنَ كانَتِ الدَّجاجَةُ ، وَمَنِ اشْتَراها ، وَكُنْتُ جِدَّ مَشْغولٍ لِذا طَلَبْتُ مِنْهُ أنْ يَنْصَرِفَ عَنّي .»

قالَ هُولْمز : « إنَّني لا أعْرِفُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَكُلُّ ما في الأمْرِ أنَّني وَصَديقي قَدِ اشْتَرَيْنا إحْدى الدَّجاجاتِ مِنْ فُنْدُقِ ألفا ، وَكانَتْ جَيِّدَةً فِعْلاً . ويَقولُ صَديقي إنَّها إنْتاجُ المَدينَةِ ، وَأقولُ إنَّها مِنْ إنْتاجِ الرّيفِ .»

قالَ بِريكِنْريدْج : « إذًا فَأنْتَ مُخطِئٌ ، يا سَيِّدي . إنَّها مِنْ لندن



بِالذَّاتِ .»

قالَ هُولْمز : « إنَّ ذَلِكَ لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ !»

صاحَ بِريكِنْريدْج غاضِباً : « وَما الَّذي يُجْبِرُني على الكَذِبِ .» ثُمَّ رَفَعَ بيْنَ يدَيْهِ دَفْتَراً ، وَقالَ : « انْظُرْ . إنَّ هذا مَكْتوبٌ هُنا : «« ديسمبر (كانون الأوَّل) - اشْتَرَيْتُ أرْبعاً وَعِشْرينَ دَجاجَةً مِنَ السَّيِّدَةِ أوكشوت ، ١١٧ بِطَريق بريكستون ، وَبِعْتُها إلى السَّيِّدِ ويِنديغيت مِنْ فُنْدُقِ ألفا .»» وَمِنْ ثُمَّ فَأنْتَ مُخْطِئٌ أيُّها الصَّديقُ الذَّكِيُّ .»

قال هُولْمز : « إنَّني جِدُّ آسِفٍ وأَرْجو أنْ تُسامِحَني !» وَتَركْنا السَّيِّدِ بِريكِنْريدْج وَمَضَيْنا . وكانَ هُولْمز يَضْحَكُ ضِحْكًا مُتَّصِلاً ، ثُمَّ قالَ : « حَسَنٌ ، يا واطْسُن ، ذَلِكَ ما كُنْتُ أُريدُ . نَحْنُ نُشْرِفُ على نِهايَةِ هَذِهِ القَضِيَّةِ ، وَسَوْفَ نَكْتَشِفُ السِّرَّ عِنْدَ السَّيِّدَةِ أوكشوت .»

وَفَجْأَةً سَمِعْنا صَخَبًا وَراءَنا ؛ كانَ بِريكِنْريدْج يَتَشاجَرُ مَعَ رَجُلٍ ضَئيلٍ .

صاحَ بِريكِنْريدْج : « إنَّني مُتْعَبٌ مِنْكَ وَمِنْ دَجاجِكَ . لَقَدِ اشْتَرَيْتُها مِنَ السَّيِّدَةِ أوكشوت .»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ : « لَكِنَّ واحِدَةً منها تَخُصُّني أنا .»

قال بريكنْريدج : « اذْهَبْ إذًا وَتَفاهَمْ مَعَ السَّيِّدَةِ أوكشوت .»

قالَ الرَّجُلُ : « إنَّها هِيَ الَّتي بَعَثَتْني إلَيْكَ .»

قالَ بِريكِنْريدْج : « انْصَرِفْ مِنْ فَضْلِكَ !» وَرَفَعَ يَدَهُ وَكَأَنَّهُ سَيَنْزِلُ بِها عَلَيْهِ . لَكِنَّ الرَّجُلَ الضَّئيلَ عَدا مُبْتَعِدًا .

قالَ هُولْمز : « هَيّا بِنا . إنَّ هَذا قَدْ يُوَفِّرُ عَلَيْنا زِيارَةَ السَّيِّدَةِ أوكشوت . يَنْبَغي أنْ نُمْسِكَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ .» وَراحَ يَعْدو خَلْفَهُ حَتّى أَدْرَكَهُ وَلَمَسَ ذِراعَهُ ، فَوَقَفَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ وَاسْتَدارَ مُواجِهًا هُولْمز ، وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ ذُعْرٌ شَديدٌ .

سَأَلَ هُولْمز : « مَنْ أَنْتَ ؟ وَماذا تُريدُ ؟»

رَدَّ هُولْمز : « مَعْذِرَةً ! لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَتَحَدَّثُ إلى السَّيِّدِ بِريكِنْريدْج ، وَقَدْ سَمِعْتُ ما دارَ بَيْنَكُما ، وَأَسْتَطيعُ مُساعَدَتَكَ .»

قالَ الرَّجُلُ : « وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟»

أَجابَ هُولْمز : « إِنَّني أُدْعى شِرْلوك هُولْمز ، وَأَنْتَ تَبْحَثُ عَنْ دَجاجَةٍ باعَتْها السَّيِّدَةُ أوكشوت لِلسَّيِّدِ بِريكِنْريدْج ، الَّذي باعَها بِدَوْرِه لِلسَّيِّدِ وَينديغيت بِفُنْدُقِ ألفا ، ثُمَّ باعَها السَّيِّدُ وينديغيت إلى السَّيِّدِ هَنْري بيكَر .»

قالَ الرَّجُلُ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ أَماراتُ الجِدِّ : « إِذاً بِوُدّي أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ .»

كانَتْ إِحدى سَيّاراتِ الأُجْرَةِ تَعْبُرُ الشّارِعَ ، فَأَشارَ إِلَيْها هُولْمز بِالوُقوفِ ، وَقالَ لِلرَّجُلِ الضَّئيلِ : « تَعالَ إِلى مَنْزِلي . نَسْتَطيعُ التَّحَدُّثَ هُناكَ بِحُرِّيَّةٍ . ما اسْمُكَ ؟»

تَرَدَّدَ الرَّجُلُ قَليلاً ، ثُمَّ قالَ : « اسْمي جون روبنسون .»

قالَ هُولْمز : « لا . لا . أُريدُ اسْمَكَ الحَقيقيَّ . يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ اسْمَكَ الحَقيقِيَّ .»

شَرِقَ وَجهُ الرَّجُلِ ، وَقالَ : « اسْمي الحَقيقيُّ هُوَ جيمس رايدر .»

قالَ هُولمْز : « وَتَعْمَلُ في فُنْدُقِ الكوزموبوليتان . اصْعَدْ إلى السَّيّارَةِ مِنْ فَضْلِكَ .» وَصَعِدْنا إلى السَّيّارَةِ جَميعاً . لَمْ نَنْبِسْ خِلالَ الطَّريقِ بِبِنْتِ شَفَةٍ . وبَعْدَ نِصْفِ السّاعَةِ وَصَلْنا شارِعَ بيكَر ، وَدَخَلْنا إلى حُجْرَةِ هُولمْز ، فَقالَ : « ها قَدْ وَصَلْنا . الغُرْفَةُ دافِئَةٌ ، وَأراكَ تَشْعُرُ بِالبَرْدِ ، يا سَيِّدُ رايدر ، فَتَفَضَّلْ بِالجُلوسِ بِالقُرْبِ مِنَ المِدْفأةِ . لا بُدَّ أنَّكَ تُريدُ أنْ تَعْرِفَ شَيْئاً عَنْ مَوْضوعِ الدَّجاجِ . إنَّكَ وَلا رَيْبَ تَبْحَثُ عَنْ دَجاجَةٍ رَقْطاءَ .»

صاحَ رايدر : « هَذا صَحيحٌ . أيْنَ هِيَ ؟»

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ حَضَرَتْ إلى هَذا المَكانِ !»

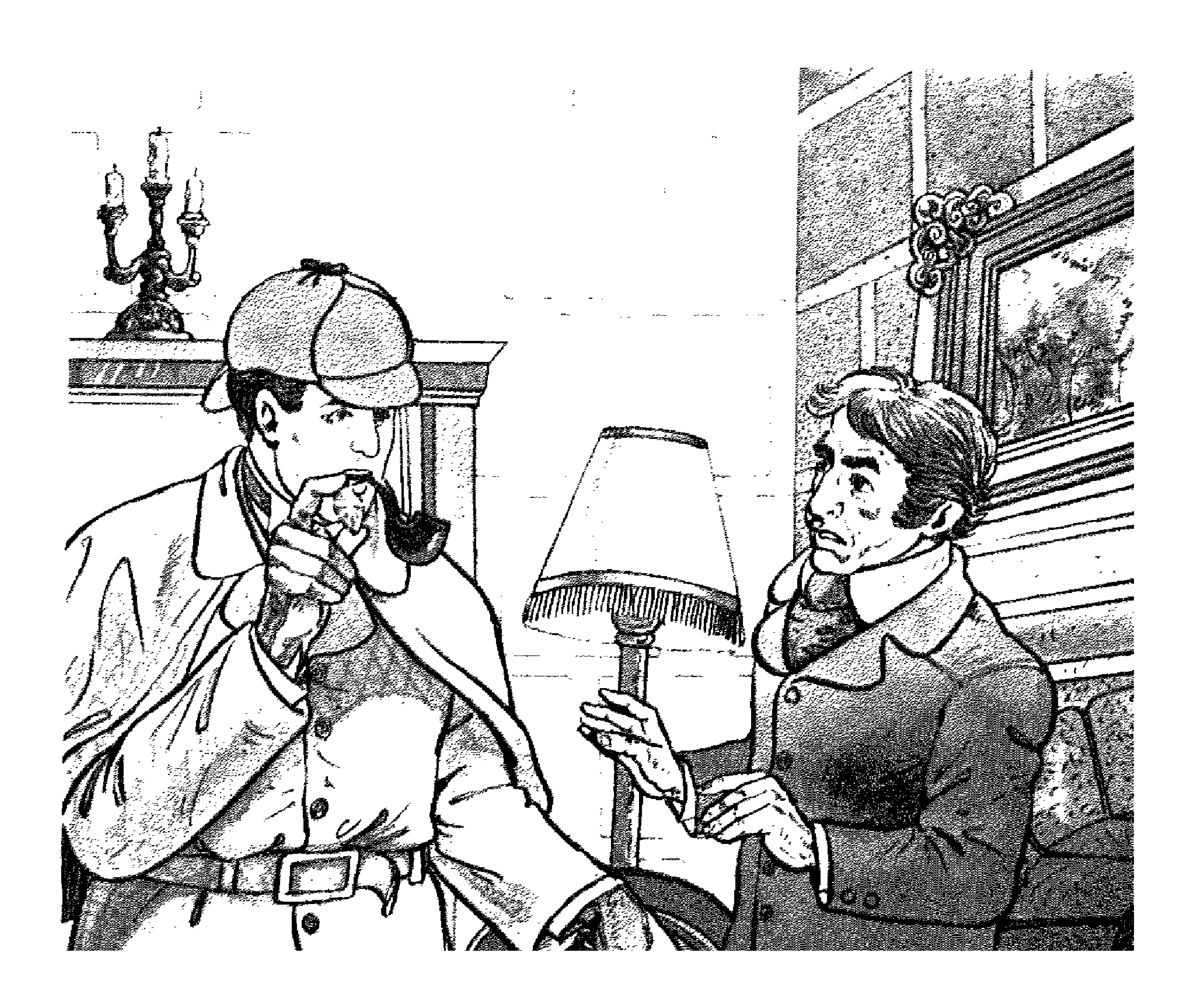
قالَ الرَّجُلُ : « إلى هَذا المَكانِ ؟»

قالَ هُولمْز : « أجَلْ ، وَكانَتْ في داخِلِها بَيْضَةٌ زَرْقاءُ جَميلَةٌ ، وَهِيَ عِنْدي الآنَ .»

وَرَفَعَ هُولمْز الماسَةَ الزَّرْقاءَ بِيَدِهِ فَتَلألأتْ كَأنَّها نَجْمَةٌ ، وَنَهَضَ رايدر وَراحَ يُحَدِّقُ إلى الماسَةِ .

قالَ هُولْمز : « لَقَدِ انْتَهى أَمْرُكَ ، يا رايدر ! فَأَنْتَ سارِقُ هَذِهِ الماسَةِ !»

كاد رايدر يَسْقُطُ عَلى الأَرْضِ ، فَصاحَ هُولْمز : « أَمْسِكْ بِهِ ، يا واطْسُن ، وَأَجْلِسْهُ في ذَلِكَ المَقْعَدِ .» وَسارَعْتُ فَأَجْلَسْتُ رايدر في



المقْعدِ الّذي أشار إلَيْهِ هُولْمز . كانَ وَجْهُهُ شاحِبًا ، وقَدْ بَدا علَيْهِ الذُّعْرُ الشَّديدُ .

قالَ هُولْمز : « إنَّني أعْرِفُ وَقائعَ القَضيَّةِ جَميعَها تَقْريبًا ، لكِنْ بِوُدّي أنْ أعْرِفَ القِصَّةَ كامِلَةً . مَنْ الّذي أخْبَرَكَ بِمَكانِ الماسَةِ الزَّرْقاءِ ؟»

قالَ الرَّجُلُ : « أخْبَرَتْني بِهِ كاثرين كوساك ، وَهِيَ تَعْمَلُ لِحِسابِ اللّيدي مورْكار .»

قالَ هُولْمز : « هَذا واضِحٌ . لَقَدْ أخْبَرَتْكَ بِمَكانِ الماسَةِ . وَأنْتَ رَجُلٌ فَقيرٌ ، وَتُريدُ أنْ تُصْبِحَ غَنِيًّا ؟ لِذا أقْدَمْتَ على سَرِقَةِ الماسَةِ وَأنْتَ تَعْلَمُ أنَّ جون هورنر صاحِبُ سابِقَةٍ ، وَسَرَقَ نُقودًا مِنَ حُجْرَةٍ في الفُنْدُقِ ؛ لِذا قَرَّرْتَ لَفْتَ الأنْظارِ إلَيْهِ ؛ فَكَسَرْتَ المِنْضَدَةَ في حُجْرَةِ اللّيدي مورْكار . وَلَمّا كانَ إصْلاحُ الأشْياءِ مِنْ ضِمْنِ أعْمالِهِ في الفُنْدُقِ ، فَقَدْ رَأيْتَ اصْطِحابَهُ إلى حُجْرَةِ اللّيدي مورْكار، وَقَدْ أصْلَحَ المِنْضَدَةَ وَمَضى . وَلَما كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ الماسَةَ في العُلْبَةِ ، فَقَدْ فَتَحْتَها وَسَرَقْتَ الماسَةَ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتَ إلى الشُّرْطَةِ واتَّهَمْتَ هورنر فَضْلاً عَنْ أنَّكَ ...»

وَعِنْدَئِذٍ جَثا رايدر صائِحًا : « أرْجوكَ ، يا سَيِّدي ! فَكِّرْ بِأمّي

وَأبي . إنَّ هَذا سَوْفَ يُحطِّمُ قَلْبَيْهِما . إنَّني لَمْ أسْرِقْ أيَّ شَيْءٍ مِنْ قَبْلُ ، وَرَجائي أنْ لا تُخْبِرَ الشُّرْطَةَ .»

قالَ هُولْمز : « عُدْ إلى مَكانِكَ . لَقَدْ فاتَ أوانُ ذَلِكَ . إنَّ سَرِقَةَ الماسَةِ قَدْ تَمَّتْ ، وَقَدْ وُجِّهَتْ التُّهْمَةُ إلى جون هورنر . إنَّ ما فَعَلْتَهُ لَفَظيعٌ حَقًّا ! يَجِبُ أنْ أُنْقِذَ جون هورنر ؛ وَلِكَيْ أفْعَلَ ذَلِكَ لا بُدَّ مِنْ أنْ أخْبِرَ الشُّرْطَةَ عَنْكَ .»

قالَ رايدر : « سأغادِرُ البِلادَ في الحالِ بِلا رَجْعَةٍ ، وَلَكَ أنْ تُخْبِرَ الشُّرْطَةَ بَعْدَ ذَلِكَ .»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما أفْعَلُ ذَلِكَ إذا رَوَيْتَ لِيَ القِصَّةَ كامِلَةً .»

قالَ رايدر : « لَنْ أخْفِيَ عَنْكَ شَيْئًا . لَقَدْ سَرَقْتُ الماسَةَ ، وَاتَّهَمْتُ جون هورنر بِسَرِقَتِها ، فاقْتادَتْهُ الشُّرْطَةُ إلى القِسْمِ ، ثُمَّ راحوا يُفَتِّشونَ حُجُراتِ الفُنْدُقِ جَميعاً . وَغادَرْتُ الفُنْدُقَ وَذَهَبْتُ إلى بَيْتِ أخْتي في طَريقِ بريكستون ، وَهِيَ مُتَزَوِّجَةٌ مِنْ رَجُلٍ يُدْعى أوكشوت ، وَيَقومانِ بِتَرْبِيَةِ الدَّجاجِ . وَكانَ الخَوْفُ بادِياً عَلَيَّ ، الأمْرُ الَّذي لَفَتَ انْتِباهَ أخْتي ، فَتَعَلَّلْتُ لَها بِأنَّني مُرْهَقٌ وَظَمْآنُ . وَعِنْدَما ذَهَبَتْ لِتَجْهيزِ الشّاي ذَهَبْتُ أنا إلى ما وَراءِ البَيْتِ حَيْثُ مَكانُ الدَّجاجِ ، فَقَدْ كانَ عَلَيَّ أنْ أخْفِيَ الماسَةَ . لَكِنْ أيْنَ ؟ ثُمَّ

رَأَيْتُ الدَّجاجَ ؛ فَخَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ .

« كانَتْ أُخْتي قَدْ وَعَدَتْ بِأَنْ تُعْطِيَني دَجاجَةً ، وَكانَتْ إِحْداها مُرَقَّطَةً ، فَأَمْسَكْتُ بِها ، وَفَتَحْتُ مِنْقارَها ، وَدَفَعْتُ بِالماسَةِ إِلى جَوْفِها . صارَتِ الماسَةُ في بَطْنِ الدَّجاجَةِ ، فَأَصْدَرَتْ صِياحًا عالِيًا أَدّى إِلى خُروجِ أُخْتي مِنَ المَنْزِلِ لِتَحَرّي ما يَجْري . وَعِنْدَما اسْتَدَرْتُ لأَتَحَدَّثَ إِلَيْها هَرَبَتِ الدَّجاجَةُ وَانْضَمَّتْ إِلى بَقِيَّةِ الدَّجاجِ ، وَلَمّا سَأَلَتْني أُخْتي عَمّا كُنْتُ أَفْعَلُ أَجَبْتُها : « لَقَدْ وَعَدْتِ أَنْ تُعْطيني دَجاجَةً وَأَنا أَنْتَقي الآنَ واحِدَةً .» سَأَلَتْ : « أَيَّةَ دَجاجَةٍ تُريدُ ؟»

« قُلْتُ : « تِلْكَ .» وَأَشَرْتُ إِلى الدَّجاجَةِ المُرَقَّطَةِ . فَقالَتْ : « خَيْرًا . سَوْفَ أَذْبَحُها وَتَسْتَطيعُ أَخْذَها مَعَكَ .»

« قُلْتُ في نَفْسي : « أَعْرِفُ رَجُلاً في كيلبيرن سَيَتَوَلّى عَنّي بَيْعَ الماسَةِ .» وَ وَصَلْتُ إِلى بَيْتِهِ وَمَعي الدَّجاجَةُ ، فَشَقَقْنا بَطْنَها مَعًا ، لَكِنَّنا لَمْ نَرَ أَيَّ أَثَرٍ لِلماسَةِ داخِلَها . لَقَدِ ارْتَكَبْتُ خَطَأً فادِحًا ، انْدَفَعْتُ بَعْدَها عائِدًا إِلى بَيْتِ أُخْتي لأَكْتَشِفَ أَنَّ الدَّجاجَ جَميعًا قَدِ اخْتَفى .

« صِحْتُ : « أَيْنَ الدَّجاجُ ؟»

« قالَتْ أُخْتي : « أَرْسَلْتُهُ إِلى السّوقِ .»

« سَأَلْتُ : ‹‹ لِمَنْ أَرْسَلْتِهِ ؟›› أجابَتْ : « إلى السَّيِّدِ بِريكِنْرِيدْج في سوقِ حَديقَةِ كوفِنت .››

« سَأَلْتُ : ‹‹ هَلْ كانَتْ بِحَوْزَتِكِ دَجاجَةٌ مُرَقَّطَةٌ غَيْرَ الَّتي أَعْطَيْتِنيها ؟››

« قالَتْ : ‹‹ أَجَلْ ، كانَتْ لَدَيَّ اثْنَتانِ ، وَقَدْ أَخَذْتَ أَنْتَ واحِدَةً مِنْهُما .››

وَذَهَبْتُ في الحالِ إلى سوقِ حَديقَةِ كوفِنت ، وَقابَلْتُ السَّيِّدَ بِريكِنْرِيدْج ، وَعَلِمْتُ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ باعَ الدَّجاجَ جَميعَهُ . سَأَلْتُهُ عَمَّن اشْتَراها ، فَرَفَضَ إِخْبارِي . وَعُدْتُ إِلَيْهِ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ ، لَكِنّي كُنْتُ أَلْقى لَدَيْهِ الرَّدَّ ذاتَهُ .»

وَراحَ رايدر يَذْرِفُ دَمْعًا غَزيرًا ، وَيَقولُ : « لِيَكُنِ اللّهُ في عَوْني ! لَقَدِ انْتَهى أَمْري ! إِنَّ هذا قاتِلٌ والِدَيَّ لا مَحالَةَ .»

وَتَوَجَّهَ هُولْمز إلى بابِ الحُجْرَةِ وَفَتَحَهُ ، وَقالَ لِلرَّجُلِ : « اخْرُجْ في الحالِ .»

قالَ رايدر غَيْرَ مُصَدِّقٍ : « ماذا ؟ إِنَّني جِدُّ مُمْتَنٍّ لَكَ يا سَيِّدي.»

قالَ هُولْمز : « لا تَزِدْ عَلى ما قُلْتَ ، وَانْصَرِفْ .» وَانْدَفَعَ رايدر خارِجًا مِنَ الغُرْفَةِ ، وَهَبَطَ الدَّرَجَ ثُمَّ هُرِعَ خارِجًا مِنَ المَنْزِلِ .

قالَ هُولمْز : « أنا عَلى أيَّةِ حالٍ لَسْتُ شُرْطِيًّا ، يا واطْسُن . إنَّ رايدر سَيُغادِرُ البِلادَ ، وَلَنْ يَكونَ لَدى رِجالِ الشُّرْطَةِ دَليلٌ ضِدَّ هورْنر في غِيابِ رايدر ، وَسَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمْ إطْلاقُ سَراحِ هورنر . عَليَّ أنْ أخبِرَ الشُّرْطَةَ الآنَ . لَقَدْ تَلَقّى رايدر دَرْسًا لَنْ يَنْساهُ . لَقَدْ أصيبَ بِذُعْرٍ شَديدٍ ، أمّا أنا فَقَدْ أمْتَعَتْني هَذِهِ القِصَّةُ أيَّما إمْتاعٍ ! دَعْنا ، يا واطْسُن ، نَسْتَمْتِعْ بِعَشائِنا الآنَ ، وَلَنْ يَكونَ سِوى دَجاجَةٍ !»

فضيحَة في بوهيمْيا

لَمْ يَحْدُثْ أنْ هُزِمَ شِرْلوك هُولمز إلّا مَرَّةً وَحيدَةً ، وَكانَتْ أمامَ امْرَأةٍ تُدْعى أيْرين أدْلَر - تِلْكَ المَرْأةُ الّتي لَمْ يَنْسَها شِرْلوك هُولمز طيلَةَ حَياتِهِ .

مَضَتْ أسابيعُ لَمْ أرَ خِلالَها هُولمز ، فَقَدِ انْتَقَلْتُ بَعْدَ زَواجي إلى حَيٍّ آخَرَ مِنْ أحْياءِ لَنْدن . أمّا هولمز فَقَدْ ظَلَّ في بَيْتِنا الكائِنِ في شارِعِ بيكر . وَلَمْ أقُمْ بِزِيارَتِهِ كَثيراً ؛ لأنَّني كُنْتُ طَبيباً مَشْغولاً بِعَمَلي إلى حَدٍّ كَبيرٍ .

وَذاتَ لَيْلَةٍ مِنْ لَيالي مارِس (آذار) عامَ ١٨٨٨ ، كُنْتُ في طَريقي إلى بَيْتي ، وَكانَ عَلَيَّ أنْ أعودَ مَريضَةً تُقيمُ في شارِعِ بيكر . وَعِنْدَما مَرَرْتُ بِبَيْتي القَديمِ صَعَّدْتُ فيهِ عَيْنَيَّ ، وَكانَتْ غُرْفَةُ هولمز مُضاءَةً ؛ فاسْتَطَعْتُ أنْ أراهُ بِوضوحٍ : كانتْ يَداهُ وَراءَ ظَهْرِهِ وَكانَ

مُطْرِقًا رَأْسَهُ ، وَبَدا عَلَيْهِ أَنَّهُ يُفَكِّرُ بِمُشْكِلَةٍ جَديدَةٍ . لَمْ تَهْزِمْ هُولْمز مُشْكِلَةٌ قَطُّ . وَتَساءَلْتُ ما عَساها تَكونُ تِلْكَ الْمُشْكِلَةُ الَّتي تَشْغَلُهُ ، فَقَرَّرْتُ أَنْ أَزورَهُ لأَسْتَطْلِعَ الأَمْرَ .

كانَ هُولْمز يَقِفُ إِلى جانِبِ الْمِدْفَأَةِ ، سابِحًا في تَفْكيرٍ عَميقٍ ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَمْ يُعَلِّقْ بِشَيْءٍ عِنْدَما دَخَلْتُ عَلَيْهِ الغُرْفَةَ ، وَاكْتَفى بِأَنْ أَشارَ إِلى كُرْسِيٍّ لأَجْلِسَ عَلَيْهِ . كانَتْ هَذِهِ عادَةَ هُولْمز عِنْدَما يُفَكِّرُ بِمُشْكِلَةٍ ما . وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سُرَّ حينَ رَآني .

وَأَخَذَ هُولْمز قُصاصَةَ وَرَقٍ وَقالَ : « انْظُرْ إِلى هَذِهِ ، يا واطْسُن . ما رَأْيُكَ فيها ؟»

تَناوَلْتُ الوَرَقَةَ ، وَكانَتْ لا تَحْمِلُ عُنْوانًا أَوْ تاريخًا أَوْ إِمْضاءً . كانَتْ مُدَوَّنًا بِها الآتي : « سَوْفَ يَزورُكَ رَجُلٌ في الثّامِنَةِ إِلّا رُبْعًا هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، لا تُفاجَأْ إِذا رَأَيْتَهُ مُقَنَّعًا ؛ فَهُوَ لا يَنْوي أَنْ يُنَبِّئَكَ بِاسْمِهِ الحَقيقِيِّ . إِنَّهُ يَحْتاجُ إِلى مَشورَتِكَ في أَمْرٍ ذي أَهَمِّيَّةٍ قُصْوى . يَجِبُ أَنْ يَبْقى ذَلِكَ سِرًّا .»

سَأَلْتُ : « ماذا يَعْني هَذا ، يا هولْمز ؟»

قالَ وَهُوَ يُطِلُّ مِنَ النّافِذَةِ إِلى الشّارِعِ : « سَوْفَ نَتَبَيَّنُ الأَمْرَ في الحالِ . لَقَدْ تَوَقَّفَتْ عَرَبَةٌ لِتَوِّها عِنْدَ بابِنا . إِنَّها عَرَبَةٌ فَخْمَةٌ ، وَيَبْدو

أنَّ زائِرَنا رَجُلٌ ذو مَكانَةٍ خاصَّةٍ .»

وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى سَمِعْنا طَرْقًا عَلى البابِ ، فَصاحَ هُولْمز : « ادْخُلْ .» وَكانَ الرَّجُلُ الَّذي دَخَلَ عَلَيْنا طَويلَ القامَةِ ، مُقَنَّعًا ، وَبَدَتْ ثِيابُهُ غَريبَةً .

سَأَلَ الزّائِرُ هُولْمز : « هَلْ تَسَلَّمْتَ رِسالَتي إلَيْكَ ؟»

أجابَ هولْمز : « أجَلْ ، وَتَفَضَّلْ بِالجُلوسِ . هَذا صَديقي الدُّكْتورُ واطْسُن . لَمْ تَكُنْ رِسالَتُكَ مُوَقَّعَةً . هَلْ تَتَكَرَّمُ بِأنْ تُخْبِرَني بِاسْمِكَ ؟»

أجابَ الرَّجُلُ : « بِاسْتِطاعَتِكَ أنْ تَدْعُوَني الكونْت ڤون كرام . إنَّني مِنْ بوهيمْيا ، وَلَقَدْ جِئْتُ طَلَبًا لِمَشورَتِكَ . يَنْبَغي ألا يَعْلَمَ أحَدٌ بِأمْرِ هَذِهِ الزِّيارَةِ . إنَّها رَغْبَةُ مَلِكٍ . هَلْ أسْتَطيعُ التَّحدُّثَ بِحُرِّيَّةٍ أمامَ صَديقِكَ ؟»

قالَ هولْمز : « بِالتَّأكيدِ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، تَسْتَطيعُ التَّحَدُّثَ بِحُرِّيَّةٍ . إنَّ الدُّكْتورَ واطْسُن كَثيرًا ما يُعاوِنُني .»

قَفَزَ الرَّجُلُ عَنْ كُرْسِيِّهِ وأماطَ القِناعَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقولُ : « إنَّكَ عَلى حَقٍّ تَمامًا ؛ فَأنا مَلِكُ بوهيمْيا . لَكِنْ كَيفَ عَرَفْتَ ؟»

قالَ هُولْمز : « الأمْرُ غايَةٌ في البَساطَةِ . إنَّ لَكَ عَرَبَةً فَخْمَةً ذاتَ



حِصانَيْنِ مُدْهِشَيْنِ . إنَّكَ رَجُلٌ موسِرٌ . وَلا بُدَّ إذاً أنَّكَ رَجُلٌ ذو مَكانَةٍ خاصَّةٍ .»

« لَكِنَّ ذَلِكَ لا يُفسِّرُ ما عَرَفْتَ .»

تابَعَ هُولْمز قائِلاً : « لَقَدْ جِئْتَ طَلَباً لِمَشورَتي . وَتَقولُ إنَّ أمْرَ زِيارَتِكَ يَنْبَغي أنْ يَظَلَّ سِرًّا ، وَإنَّ ذَلِكِ رغبةُ مَلِكٍ .»

« رَغْمَ ذَلِكَ فَأَنا لا أَسْتَطيعُ أنْ أفْهَمَ كَيْفَ عَرَفْتَ .»

« إنَّكَ مِنْ بوهيمْيا . وَلَقَدْ قَرَأتُ في الصُّحُفِ أنَّ مَلِكَ بوهيمْيا مَوْجودٌ الآنَ في لندن ؛ إذاً فأنتَ المَلِكُ . قُلْ لي مِنْ فَضْلِكَ كَيْفَ أَسْتَطيعُ مُساعَدَتَكَ .»

وَاسْتَهَلَّ المَلِكُ حَديثَهُ قائلاً : « إلَيْكَ الوَقائعَ : مُنْذُ خَمْسَةِ أعْوام تَقْريباً الْتَقَيْتُ وَسَيِّدَةً تُدْعى أيْرين أدْلَر . لَعَلَّكَ سَمِعْتَ بِها ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ أرجعُ إلى مُدَوَّناتي .» ثُمَّ مَضى إلى صُنْدوقٍ بِهِ بِطاقاتٌ كَثيرَةٌ تَحْمِلُ مَعْلوماتٍ عَنْ مِئاتٍ مِنَ النّاسِ . وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى أخْرَجَ بِطاقَةً مُدَوَّناً بِها : أيْرين أدْلَر . وُلِدَتْ في نيوجيرسي عامَ ١٨٥٨ . مُغَنِّيَةٌ ، وَقَدْ مارَسَتِ الغِناءَ في مَدينَتَيْ «« لاسْكالا وَ وارْسو »» . تَعيشُ الآنَ في لَنْدن .» ثُمَّ التَفَتَ إلى المَلِكِ قائِلاً : « مُنْذُ خَمْسِ سِنينَ كانَتْ أيْرين أدْلَر تَعيشُ في

وارْسو . هَلْ قابَلْتَها هُناكَ ؟»

قالَ المَلِكُ : « أجَلْ .»

« إنَّكَ وقَعْتَ في الحُبِّ وكَتَبْتَ إلَيْها بَعْضَ الرَّسائِلِ . وأَنْتَ تُريدُها أنْ تُعيدَ الرَّسائِلَ .»

« نَعَمْ . لكِنْ كَيْفَ ؟»

« هَلْ تَزَوَّجْتَها سِرًّا ؟»

« لا .»

« هَلْ وَقَّعْتَ لَها عَلى أيَّةِ أوْراقٍ قانونِيَّةٍ ؟»

« لا .»

« إذًا لَيْسَتْ ثَمَّةَ مُشْكِلَةٌ .»

« لكِنْ ماذا بِشَأْنِ الرَّسائِلِ ؟»

« تَسْتَطيعُ أنْ تُنْكِرَ أنَّكَ كَتَبْتَها .»

قالَ المَلِكُ : « إنَّ لَدَيْها صورَةً فوتوغرافِيَّةً .»

« لَعَلَّها اشْتَرَتْها .»

« لكِنَّها مَعي في الصّورَةِ .»

قالَ هولمز : « نَحْنُ الآنَ أمامَ أمرٍ مُخْتَلِفٍ تَماماً . عَلَيْكَ أنْ تُغْرِيَها بِالمالِ فَتَبيعَكَ الصّورةَ .»

« عَرَضْتُ عَلَيْها لكِنّها تَرْفُضُ البَيْعَ .»

« اسْرِقْها إذاً .»

« لَقَدْ دَفَعْتُ لِرِجالٍ مَرَّتَيْنِ مِنْ أجْلِ سَرِقَتِها ، لكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى الصّورَةِ في بَيْتِها .»

قالَ هُولمز ضاحِكاً : « إنَّ لَدَيْنا مُشْكِلَةً حَقًّا . ماذا تَنوي السَّيِّدَةُ أنْ تَفْعَلَ بِالصّورَةِ ؟»

« إنَّ لِمَلِكِ اسكاندينافيا ابْنَةً أَرْغَبُ في الزَّواجِ بِها . وَسَوْفَ تَسْتَخْدِمُ أيْرين أدْلَر الصّورَةَ لِمَنْعِ هذا الزَّواجِ .»

قالَ هولمز : « سَبَقَ لي أنْ سَمِعْتُ أنَّكُما موشِكانِ عَلى الزَّواجِ ، فَكَيْفَ تَسْتَطيعُ أيْرينْ أدْلَر مَنْعَكُما ؟»

« سَوْفَ تُرْسِلُ الصّورَةَ إلى مَلِكِ اسكاندينافيا . وَهُوَ رَجُلٌ يَخافُ الفَضائِحَ ، وَبِذا تَمْنَعُ زَواجَنا .»

« وَلِماذا لا تُريدُكَ أيْرين أدْلَر أنْ تَتَزَوَّجَ الأميرَةَ ؟»

« إنَّهُ السَّبَبُ المألوفُ ؛ فَهِيَ لا تَزالُ تُحِبُّني ، وَتُريدُني زَوْجاً

لَها .»

« هَلْ أنْتَ عَلى ثِقَةٍ بِأنَّها لَمْ تُرْسِلِ الصّورَةَ بَعْدُ ؟»

« أجَلْ . إنَّني عَلى ثِقَةٍ .»

« لِمَ ؟»

« إنَّها تَنْتَظِرُ حَتّى يُعْلَنَ تاريخُ زَواجي في الصُّحُفِ ؛ وَذَلِكَ سَيَكونُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ القادِمِ . حينَئِذٍ سَوْفَ تُرْسِلُ الصّورَةَ إلى المَلِكِ .»

« هَذا يَعْني أنَّ لَدَيْنا ثَلاثَةَ أيّامٍ عَلى الأكْثَرِ . هَلْ سَتَبْقى في لَنْدَن خِلالَ هَذِهِ الفَتْرَةِ ؟»

قالَ المَلِكُ : « بِالطَّبْعِ . وَسأنْزِلُ في فُنْدُقِ لانغهام .»

« إذاً سأكْتُبُ إلَيْكَ . سَتَكونُ لَدَيَّ في الحالِ أخْبارٌ أنْقُلُها إلَيْكَ . بَقِيَ أنْ نَبْحَثَ مَوْضوعَ الأتْعابِ .»

« تَسْتَطيعُ أنْ تَذْكُرَ المَبْلَغَ الَّذي تَشاءُ . إنَّني عَلى اسْتِعْدادٍ لِلتَّضْحِيَةِ بِأيِّ شَيْءٍ لِقاءَ الحُصولِ عَلى الصّورَةِ .»

قالَ هُولْمز : « أرى أنَّني سَأحْتاجُ مُؤَقَّتاً إلى بَعْضِ النُّقودِ ؛ إذْ عَلَيَّ أنْ أدْفَعَ مُقابِلَ عَوْنٍ ما .»

أخْرَجَ المَلِكُ رِزْمَةً مِنَ الأوْراقِ النَّقْدِيَّةِ مِنْ جَيْبِهِ ، وَدَفَعَ بِها إلى

هُولمز ، وَقالَ : « إلَيْكَ أَلْفَ جُنَيْهٍ . آمُلُ أَنْ يَفِيَ ذَلِكَ بِالغَرَضِ .»

تَناوَلَ هُولمز الرُّزْمَةَ وَسَأَلَهُ قائِلاً : « ما عُنْوانُ السَّيِّدَة ؟»

« برايوني لودْج ، طَرِيقُ سِرِبِنْتاين – غابَةُ القِدِّيس يوحنا .»

دَوَّنَ هُولمز العُنْوانَ ، ثُمَّ قالَ : « سُؤالٌ أخيرٌ . ما حَجْمُ الصّورة ؟»

قالَ المَلِكُ : « إنَّها كَبيرَةٌ جِدًّا . حَوالى ثَلاثينَ في عِشْرينَ سَنْتيمِتْرًا .»

صافحَهُ هُولمز قائِلاً : « طابَتْ لَيْلَتُكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ . سَتَكونُ لَدَيَّ عَنْ قَريبٍ أخْبارٌ أنْقُلُها إلَيْكَ .» ثُمَّ أضافَ قائِلاً والمَلِكُ يُغادِرُ البَيْتَ : « وطابَتْ لَيْلَتُكَ ، يا واطْسُنْ . هَلْ سَتَأْتي لِزِيارَتي غَداً في الثّالِثَةِ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ ؟ أَرْجو أَنْ أَحْظى بِمُعاوَنَتِكَ .»

ذَهَبْتُ بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ التّالي إلى شارِعِ بيكر في المَوْعِدِ المُحَدَّدِ . لَمْ يَكُنْ هُولمز قَدْ عادَ إلى البَيْتِ بَعْدُ . وتَبَيَّنَ لي أنَّه غادَرَ البَيْتَ في الثّامِنَةِ مِنْ صَباحِ اليَوْمِ ، وانْتَظَرْتُهُ . كانَتْ دَقّاتُ السّاعَةِ تُعْلِنُ الرّابِعَةَ عِنْدَما فُتِحَ البابُ . كانَ الدّاخِلُ يَرْتَدي مَلابِسَ حوذِيٍّ . كانَ شَعْرُهُ مُسْتَرْسِلاً ، وَ وَجْهُهُ أَحْمَرَ . لَقَدْ كانَ هُولمز نَفْسَهُ . لَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ ، بَلْ تَوَجَّهَ إلى غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ خَمْسِ دَقائِقَ ، وَقَدْ غَسَلَ وَجْهَهُ وَارْتَدى ثِيابَهُ المُعْتادَةَ .



جَلَسَ قُرْبَ المَوْقِدِ ، وَهُوَ يُقَهْقِهُ ، ثُمَّ قالَ : « حَسَنٌ ، يا واطْسُن ، ماذا تَظُنُّني كُنْتُ أَفْعَلُ اليَوْمَ ؟ »

« دَعْني أُفكِّرْ . كُنْتَ تُراقِبُ أيْرين أدْلر . »

« لَقَد أصَبْتَ كَبِدَ الحَقيقَةِ . لَقَدْ غادَرْتُ البَيْتَ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ صَباحَ اليَوْمِ مُرْتَدِيًا مَلابِسَ حوذِيٍّ . وسَرْعانَ ما عَثَرْتُ على برايوني لودج . إنَّهُ بَيْتٌ ريفِيٌّ ذو حَديقَةٍ خَلْفِيَّةٍ . وَتُطِلُّ مُقَدِّمَتُهُ على الطَّريقِ مُباشَرَةً . هُناكَ بَعْضُ البَناياتِ عَلى طَريقٍ جانِبَ البَيْتِ ، تُحْفَظُ فيها العَرَباتُ وَالخَيْلُ . وَقابَلْتُ حُوذِيًّا هُناكَ فَأَخْبَرَني بِكُلِّ

شَيْءٍ عَنْ أيْرين أدْلر .»

سَألْتهُ : « بِمَ أخْبَرَكَ ؟»

« أخْبَرَني بِأنّها غايَةٌ في الجَمالِ . تَعيشُ عيشَةً هادِئَةً ، وَتُغَنّي في الحَفَلاتِ . تَقودُ سَيّارَتَها خارِجَةً بِها كُلَّ يَوْمٍ في الخامِسَةِ مَساءً ، وَتَعودُ دائِماً لِتَناوُلِ العَشاءِ في السّابِعَةِ . وَلا يَزورُها إلّا رَجُلٌ واحِدٌ أسْمَرُ البَشَرَةِ وَسيمُ الطَّلْعَةِ ، يُدْعى غودْفري نورْتون ، وَيَعْمَلُ مُحامِياً .»

قُلْتُ : « لَقَدْ أمْضَيْتَ حَقًّا يَوْماً مَشْحوناً بِالعَمَلِ .»

تابَعَ هُولْمز قائِلاً : « هَذا لَيْسَ كُلَّ شَيْءٍ . يَبْدو أنَّ غودْفري هَذا ذو أهَمِّيَّةٍ بالِغَةٍ ، فَهُوَ بِحُكْمِ عَمَلِهِ مُحامِياً يَزورُ أيرين أدْلر كُلَّ يَوْمٍ . وَمَنْ يَدْري ؟ فَقَدْ يَكونُ مُحامِيَها ، وَقَدْ يَكونُ صَديقَها ، وَرُبَّما يَكونُ عاشِقاً لَها . فَإذا كانَ مُجَرَّدَ مُحامٍ لَها ، فَرُبَّما تَكونُ قَدْ أعْطَتْهُ الصّورَةَ . أمّا إذا كانَ حَبيبَها فَبِالطَّبْعِ لَنْ تَكونَ راغِبَةً في إظْهارِ الصّورَةِ أمامَهُ . وَإذا كانَ الأمْرُ كَذَلِكَ ، فَإنَّ الصّورَةَ لا بُدَّ أنْ تَكونَ في مَنْزِلِها . وَبَيْنَما كُنْتُ هُناكَ ، إذْ وَصَلَتْ عَرَبَةٌ إلى برايوني لودج ، وَقَفَزَ رَجُلٌ مِنْها . كانَ أسْمَرَ البَشَرَةِ ، وَسيمَ الطَّلْعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ سِوى نورْتون ، وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ أنَّهُ في عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِهِ ، حَيْثُ طَلَبَ مِنْ سائِقِ العَرَبَةِ أنْ يَنْتَظِرَهُ ، وَانْدَفَعَ داخِلَ البَيْتِ .

« مَكَثَ هُناكَ قُرابَةَ نِصْفِ السّاعَةِ ، وَكانَ بِإمْكاني أنْ أراهُ مِنْ خِلالِ نافِذَةِ غُرْفَةِ الجُلوسِ . وَبَدا واضِحَ الاضْطِرابِ ، وَلَمْ أتَمَكَّنْ مِنْ رُؤيَةِ السَّيِّدَةِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ مُتَّجِهاً ناحِيَةَ العَرَبَةِ ، وَكانَ يَنْظُرُ إلى ساعَةِ يَدِهِ ، ثُمَّ هَتَفَ بِالسّائِقِ : « خُذْني إلى شارِعِ ريجنت لأشْتَرِيَ خاتَماً ، ثُمَّ عُدْ بي إلى طَريقِ إدجْوير ، وَسَوْفَ أنْفَحُكَ جُنَيْهاً إنْ أوْصَلْتَني في ثُلُثِ ساعَةٍ . »

« وَسارَتِ العَرَبَةُ . وَبَعْدَها جاءَتْ عَرَبَةُ أيرين أدْلَر إلى مُقَدِّمَةِ البَيْتِ ، وَخَرَجَتْ أيرين أدْلَر وَرَكِبَتْها صائِحَةً : « إلى طَريقِ إدْجوير ، يا جون . »

« وَقَرَّرْتُ أنْ أتْبَعَ العَرَبَةَ . وَمَرَّتْ في الشّارِعِ عَرَبَةُ أجْرَةٍ فَقَفَزْتُ فيها ، وَأوْصَلَتْني إلى طَريقِ إدْجوير ، فَرَأيْتُ أيرين أدْلَر وغودْفري نورْتون وَأحَدَ رِجالِ الدّينِ يَقِفونَ أمامَ فيلّا أنيقَةٍ . وَنَظَروا إلَيَّ عِنْدَما هَبَطْتُ مِنَ العَرَبَةِ . وَأسْرَعَ نورْتون نَحْوي قائِلاً بِصَوْتٍ جَهيرٍ : « تَعالَ مَعي . لا بُدَّ لَنا مِنْ شاهِدٍ . لَنْ يَسْتَغْرِقَ الأمْرُ سِوى بَضْعِ دَقائِقَ . لَنْ يَكونَ الزَّواجُ قانونِيًّا ما لَمْ يَكُنْ لَدَيْنا شاهِدٌ . » ثُمَّ اقْتادَني إلى داخِلِ الفيلّا ، وَهُناكَ صِرْتُ شاهِداً عَلى زَواجِ أيرين أدْلَر وَغودفري نورْتون .

« وَانْتَهى الأمْرُ سَريعاً ، وَشَكَرَ الرَّجُلُ لي شَهادَتي ، وَنَفَحَني

السَّيِّدةُ جُنَيْهاً ، عَلى حين ابْتَسَمَ رَجُلُ الدِّين .

« وَعِنْدَما أُفَكِّرُ فيما حَدَثَ أَجِدُ نَفْسي مُنْطَلِقاً في الضَّحِكِ ، وَذَلِكَ يُفَسِّرُ ضَحِكي الآنَ . لَقَدْ رَفَضَ رَجُلُ الدِّين تَزْويجَهُما دونَ شاهِدٍ ؛ فَكانَ شرلوك هُولمز شاهِدَهُما . »

قُلْتُ : « إِذاً فَهُما الآنَ زَوْجانِ . لَقَدْ بَدا أَنَّهُما في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِما . تُرى ما سَبَبُ ذَلِكَ ؟ »

قالَ هُولمز : « ما أَظُنُّ أَيْرين أَدْلَر إِلّا خائِفَةً مِنْ شَيْءٍ ما . لَقَدْ جَرَتْ مُحاوَلَتانِ لِسَرِقَةِ الصّورَةِ مِنْها ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّها قَرَّرَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ نورْتون وَتُغادِرَ إِنْجِلْترا . »

سَأَلْتُهُ : « أَ تَعْتَقِدُ أَنَّ المَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُفَكِّرَ في ضَرَرِها ؟ »

قالَ هُولمز : « لَسْتُ أَدْري . لَكِنَّها تَبْدو خائِفَةً مِنْهُ . »

سَأَلْتُهُ : « ماذا فَعَلْتَ بَعْدَ مُغادَرَةِ الفيلّا ؟ »

قالَ هُولمز : « لَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُما سَيُغادِرانِ لندن في الحالِ ، لَكِنَّني دَهِشْتُ عِنْدَما سَمِعْتُ السَّيِّدَةَ تَقولُ لِنورْتون : « سَوْفَ أَتَوَجَّهُ بِعَرَبَتي إِلى المُنْتَزَهِ في الخامِسَةِ كالعادَةِ . » ثُمَّ غادرا في عَرَبَتَيْنِ مُنْفَصِلَتَيْنِ . عَلَيَّ أَنْ أَتَحَرَّكَ الآنَ بِسُرْعَةٍ ، يا واطْسن ، فَهَلْ

تُساعِدُني ؟»

قُلْتُ : « طَبْعاً ! ماذا تُريدُني أنْ أفْعَلَ ؟»

قالَ هُولْمز : « السّاعَةُ الآنَ الخامِسَةُ . يَجِبُ أنْ نَكونَ في برايوني لودج في غُضونِ ساعَتَيْنِ . إنَّ السَيِّدَةَ تعودُ مِنْ نُزْهَتِها في السّابِعَةِ ، وَيَجِبُ أنْ نَكونَ هُناكَ لِلِقائِها .»

« ثُمَّ ماذا ؟»

« سَوْفَ يَحْدُثُ ما يُدْهِشُكَ . لَكِنْ لا يَنْبَغي أنْ تَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ جَرّاءِ نَفْسِكَ . هَلْ هَذا واضِحٌ ؟ بَعْدَ أرْبَعِ أوْ خَمْسِ دَقائِقَ سَوْفَ تُفْتَحُ نافِذَةُ غُرْفَةِ الجُلوسِ ، وَسَتَكونُ أنْتَ واقِفاً إلى جانِبِ تِلْكَ النّافِذَةِ .»

« ثُمَّ ماذا ؟»

« عَلَيْكَ أنْ تُراقِبَني جَيِّداً . سَوْفَ تَكونُ قادِراً على مُراقَبَتي . أُريدُكَ ، عِنْدَما أرْفَعُ يَدي ، أنْ تَرْمِيَ شَيْئاً في الغُرْفَةِ ، ثُمَّ تَصْرُخَ : « حَريقٌ ! حَريقٌ !»

سَأَلْتُهُ : « أ هَذا كُلُّ ما عَلَيَّ أنْ أفْعَلَهُ ؟»

قالَ هُولْمز : « أجَلْ ، سَوْفَ تُلْقي هَذِهِ في الغُرْفَةِ .»

كانَ الشيْءُ الّذي قَدَّمَهُ هُولمز إليَّ مَصْنوعاً مِنَ المَعْدِنِ ، بِطولِ ١٥ سَنْتيمِتْراً تَقْريباً .

« إنَّها قُنْبلَةُ دُخانٍ .»

صِحْتُ : « قُنْبلَةُ دُخانٍ ! أ هِيَ خَطِرَةٌ ؟»

قالَ هولمز : « لا ، عَلى الإطْلاقِ . كُلُّ ما هُنالِكَ أنَّها تُحْدِثُ دُخاناً كَثيفاً . وَعِنْدَما تُلْقيها وَتَصيحُ ، اذْهَبْ إلى نِهايَةِ الشّارِع وانْتَظِرْ قُدومي إلَيْكَ .»

دَخَلَ هُولمْز إلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَعِنْدَما عادَ كانَ يَرْتَدي مَلابِسَ رِجالِ الدّينِ .

كانَتِ السّاعَةُ السّادِسَةَ والرُّبْعَ حينَ غادَرْنا شارِعَ بيكر . وَ وَصَلْنا طَريقَ سِرْبِنْتاين في السّابِعَةِ إلّا عشْرَ دَقائِقَ . وَكانَ اللّيْلُ قَدْ بَدَأَ يُرْخي سُدولَهُ فَيُخْفي مَعالِمَ الأشْياءِ ، وَ وَقَفْنا نَنْتَظِرُ قُرْبَ برايوني لودج . وَأدْهَشَني أنْ أرى هُناكَ الكَثيرَ مِنَ النّاسِ . وَكانَ بَعْضُهُمْ يَقِفُ إلى جانِبِ البَيْتِ . وَكانَ ثَمَّةَ جُنْدِيّانِ يَتَحَدَّثانِ إلى فَتاةٍ ، وَعَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ يَقِفونَ عَلى ناصِيَةِ الشّارِعِ .

وَفي تَمام السّابِعَةِ ، وَصَلَتْ عَرَبَةُ أيْرين أدْلر ، وَتَوَجَّهَتْ إلى برايوني لودْج . وَبَيْنَما العَرَبَةُ تَتَوَقَّفُ انْدَفَعَ رَجُلٌ نَحْوَها ، وَكانَ

موشِكاً عَلى فَتْحِ بابِها ، لَوْلا أنْ تَقَدَّمَ نَحْوَهُ جُنْدِيٌّ وَدَفَعَهُ بَعيداً عَنْها . وَنَشِبَ بَيْنَهُما قِتالٌ ، وَجاءَ الجُنْدِيُّ الآخَرُ ثُمَّ الرِّجالُ الآخَرونَ . وَ وَجَدَتْ أيْرين أدْلَر نَفْسَها وَسْطَ حَشْدٍ مِنَ الرِّجالِ المُتَناحِرينَ ، وَانْدَفَعَ هُولْمز نَحْوَ الحَشْدِ لِيُساعِدَها ، وَما إنْ وَصَلَ إلَيْها، حَتّى نَدَّتْ عَنْهُ صَيْحَةُ ألَمٍ فَظيعَةٌ وَارْتَمى عَلى الأرْضِ وَالدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ وَجْهِهِ . وَتَوَقَّفَ الشِّجارُ ، وَجَرى المُتَشاجِرونَ في الشّارِعِ ، وَتَقَدَّمَ الرِّجالُ الَّذينَ كانوا عَلى النّاصِيَةِ لِمُساعَدَةِ هُولْمز .

صاحَتْ أيْرين أدْلَر : « كَيْفَ حالُ الرَّجُلِ ؟»

قالَ أحَدُهُمْ : « لَقَدْ ماتَ !»

قالَ آخَرُ : « لا ، إنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَكِنَّهُ يُحْتَضَرُ .»

قالَتِ الفَتاةُ الَّتي كانَتْ تَتَحَدَّثُ إلى الجُنْدِيَّيْنِ : « حَقًّا إنَّهُ لَرَجُلٌ شُجاعٌ ! لَقَدْ كادوا يَسْرِقونَ حَقيبَةَ السَّيِّدَةِ ، وَلَكِنَّهُ تَصَدّى لَهُمْ . يا إلَهي ! إنَّهُ يَتَنَفَّسُ . يَنْبَغي ألا يَظَلَّ مُمَدَّداً هَكَذا في الطَّريقِ .» ثُمَّ تَطَلَّعَتِ الفَتاةُ بِبَصَرِها إلى أيْرين أدْلَر ، وَقالَتْ : « أ لا يُمْكِنُنا أنْ نُدْخِلَهُ إلى البَيْتِ ؟»

أجابَتْ أيْرين أدْلَر : « بَلى بِالطَّبْعِ . أدْخِلوهُ حُجْرَةَ الجُلوسِ .»

وَبِحِرْصٍ شَديدٍ حَمَلَ رَجُلُ الدّينِ العَجوزُ إلى برايوني لودج ، ثُمَّ

إلى غُرْفَةِ الجُلوسِ . وَتَوَجَّهْتُ أنا نَحْوَ النّافِذَةِ ، لأرى هُولْمز ، وَكانَ مُمَدَّداً في كُرْسِيٍّ . وَتَذَكَّرْتُ أوامِرَهُ لي ، فَأَخْرَجْتُ قُنْبلَةَ الدُّخانِ مِنْ جَيْبي . وَاعْتَدَلَ هُولْمز وَأشارَ إلى النّافِذَةِ ، فَهُرِعَتِ السَّيِّدةُ إلى النّافِذَةِ وَفَتَحَتْها ، ثُمَّ رَفَعَ ذِراعَهُ فَأَلْقَيْتُ أنا بِقُنْبلَةِ الدُّخانِ داخِلَ الغُرْفَةِ وَصَرَخْتُ : « حَريقٌ ! »

وَفي الحالِ صاحَ الرِّجالُ المُحْتَشِدونَ : « حَريقٌ ! » وَتَوَجَّهْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى نِهايَةِ الشّارِعِ انْتِظاراً لِقُدومِ هُولْمز . وَما هِيَ إلّا عَشْرُ دَقائِقَ حَتّى وَصَلَ ، فَانْطَلَقْنا في اتِّجاهِ شارِعِ بيكر .

قالَ وَنَحْنُ في الطَّريقِ : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعاً ، يا واطْسُن . لَقَدْ كانَتِ النَّتيجَةُ مُذْهِلَةً حَقًّا . »

« هَلْ حَصَلْتَ عَلى الصّورَةِ ؟ »

« عَرَفْتُ مَكانَها . »

« كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إلَيْها ؟ »

« هِيَ الَّتي دَلَّتْني . »

« وَضِّحْ ، يا هُولْمز ، أَرْجوكَ ! »

قالَ ضاحِكاً : « كانَ الأَمْرُ غايَةً في اليُسْرِ . لَقَدْ دَفَعْتُ لِهَؤلاءِ

النّاس جَميعًا لِيَكونوا في عَوْني .»

قُلْتُ : « لَقَدْ كانَ هَذا ظَنّي .»

قالَ : « عِنْدَما نَشِبَ الشِّجارُ ، انْدَفَعْتُ مُتَقَدِّمًا وَسْطَ المَعْمَعَةِ ثُمَّ سَقَطْتُ على الأَرْضِ . وَكانَ عَلى يَدي طِلاءٌ أحْمَرُ ، فَرَفَعْتُها إلى وَجْهي فَبَدا الطِّلاءُ الأَحْمَرُ وَكَأَنَّهُ دَمٌ .»

قُلْتُ : « بِالطَّبْعِ .»

أضافَ : « ثُمَّ حَمَلوني إلى داخِلِ البَيْتِ . وَكانَ عَلَيْها أَنْ تَسْمَحَ لَهُمْ بِإِدْخالي البَيْتَ . وَداخِلَ حُجْرَةِ جُلوسِها ، كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الصّورَةَ إمّا أَنْ تَكونَ فيها وَإمّا في حُجْرَةِ نَوْمِها . وَفي غُرْفَةِ الجُلوسِ أَراحوني في كُرْسِيٍّ ، ثُمَّ أَشَرْتُ إلى النّافِذَةِ فَفُتِحَتْ ، وَأُتيحَتْ لَكَ فُرْصَةَ إلْقاءِ قُنْبُلَةِ الدُّخانِ .»

قُلْتُ : « وَكَيْفَ أعانَكَ ذَلِكَ ؟»

قالَ هُولمز : « كانَ ذَلِكَ في غايَةِ الأَهَمِّيَّةِ . ماذا تَفْعَلُ امْرَأَةٌ في حالِ نُشوبِ حَريقٍ في مَنْزِلِها ؟ إنَّها تَنْدَفِعُ لإنْقاذِ أَثْمَنِ ما لَدَيْها . وَما أَثْمَنُ شَيْءٍ لَدى سَيِّدَتِنا ؟ إنَّها الصّورَةُ ، قَطْعًا . خُيِّلَ إلَيْها أَنَّ حَريقًا شَبَّ في المَنْزِلِ ؛ لِذا انْدَفَعَتْ في الحالِ لإنْقاذِ الصّورَةِ . وَكانَتْ مُخَبَّأَةً وَراءَ لَوْحَةٍ عَلى الجِدارِ فَتَوَجَّهَتْ نَحْوَها مُباشَرَةً . لَقَدْ

رَأَيْتُها وَهِيَ تُخْرِجُها . فَصَرَخْتُ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ حَرِيقٌ ؛ فَأَعادَتْها إلى مَكانِها ثانِيَةً . وَنَظَرَتْ إلى قُنْبُلَةِ الدُّخانِ وَانْدَفَعَتْ خارِجَةً مِنَ الغُرْفَةِ ، وَلَمْ أَرَها مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَكُنْتُ موشِكاً عَلى الْتِقاطِ الصّورَةِ ، لَكِنَّ حوذِيَّها دَخَلَ عَلَيَّ الغُرْفَةَ ، فَآثَرْتُ إِرْجاءَ العَمَلِ إِلى وَقْتٍ يَكونُ أَكْثَرَ أَماناً .»

قُلْتُ مُتَسائِلاً : « وَماذا بَعْدُ ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ نَزورُ السَّيِّدَةَ غَداً ، وَسَأَطْلُبُ إِلى المَلِكِ أَنْ يأْتِيَ مَعَنا . وَسَوْفَ نَدْخُلُ إلى حُجْرَةِ الجُلوسِ لِنَنْتَظِرَها ، لَكِنْ عِنْدَما تَأْتي لَنْ نَكونَ مَوْجودينَ . سَيَتَمَكَّنُ المَلِكُ مِنَ الاسْتِيلاءِ عَلى الصّورَةِ بِنَفْسِهِ .»

قُلْتُ : « مَتى سَتَذْهَبُ ؟»

أَجابَ هُولْمز : « في الثّامِنَةِ صَباحاً حَيْثُ سَتَكونُ في فِراشِها ، وَسَيَكونُ مِنَ اليَسيرِ أَخْذُ الصّورَةِ . وَالآنَ لا بُدَّ لي مِنْ إِرْسالِ رِسالَةٍ عاجِلَةٍ إِلى المَلِكِ .»

كُنّا قَدْ وَصَلْنا إلى شارِعِ بيكر ، وَ وَقَفْنا أَمامَ مَنْزِلِ هُولْمز ، عِنْدَما حَيّانا أَحَدُ المارَّةِ قائِلاً : « طابَتْ لَيْلَتُكَ ، يا سَيِّدُ شِرْلوك هُولْمز .» وَكانَ الشّارِعُ في ذَلِكَ الوَقْتِ مُزْدَحِماً بِالنّاسِ ، وَبَدا الشَّخْصُ الَّذي

حيّانا شابًّا في مُقْتَبَلِ العُمْرِ ، وَقَدْ كانَ مُسْرِعاً في طَريقِهِ .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ الصَّوْتَ مِنْ قَبْلُ ، وَأنا أتَساءَلُ الآنَ مَنْ عَساهُ يَكونُ ؟»

قَضَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ هُولْمز . وَفي الصَّباحِ كُنّا نَتَناوَلُ إفْطارَنا حينَما انْدَفَعَ مَلِكُ بوهيمْيا مُقْتَحِماً الغُرْفَةَ وَهُوَ يَصيحُ : « هَلْ حَصَلْتَ عَلى الصّورَةِ حَقًّا ؟»

قالَ هُولْمز : « لَيْسَ بَعْدُ .»

قالَ المَلِكُ : « وَلَكِنَّكَ وَعَدْتَ بِأنْ تَحْصُلَ عَلَيْها .»

أجابَ هُولْمز : « إنَّني آمُلُ ذَلِكَ .»

قالَ المَلِكُ : « هَيّا بِنا إذاً . عَرَبَتي في الانْتِظارِ .» وَما هِيَ إلّا دَقائِقُ حَتّى كُنّا في طَريقِنا إلى برايوني لودج .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ تَزَوَّجَتْ أيْرين أدْلَر .»

سَأَلَ المَلِكُ دَهِشاً : « تَزَوَّجَتْ ! مَتى ؟»

أجابَ هُولْمز : « أمْسِ .»

سَأَلَ المَلِكُ : « وَلَكِنْ مَنِ الزَّوْجُ ؟»

أجابَ هُولْمز : « مُحامٍ يُدْعى نورتون .»

قالَ المَلِكُ : « لَكِنَّها لا تُحِبُّهُ !»

قالَ هُولْمز : « آمُلُ أنْ تُحِبَّهُ .»

قالَ المَلِكُ : « وَ لِمَ ؟»

قالَ هُولْمز : « لأنَ زَواجَكَ لَنْ يَكونَ مُهَدَّداً ؛ فَحُبُّها لِنورْتون يَعْني أَنَّها لا تُحِبُّكَ ، وَإذا كانَتْ لا تُحِبُّكَ فَهَذا يَعْني بِدَوْرِهِ أَنَّها لَنْ تُحاوِلَ مَنْعَ زَواجِكَ .»

قالَ المَلِكُ : « هَذا صَحيحٌ .»

وَانْفَتَحَ بابُ برايوني لودج ، وَ وَقَفَتْ سَيِّدَةٌ عَجوزٌ عَلى الدَّرَجِ ، وَسَأَلَتْ : « السَّيِّدُ شِرْلوك هُولْمز ؟»

قالَ صاحِبي : « نَعَمْ ، إنَّني هُولْمز .»

قالَتِ العَجوزُ : « لَقَدْ أَنبَأَتْني السَّيِّدَةُ نورتون بِأَنَّكَ سَوْفَ تَأْتي لِزِيارَتِها ، وَلَكِنَّها رَحَلَتْ هَذا الصَّباحَ مَعَ زَوْجِها إلى فَرَنْسا .»

صاحَ هُولْمز : « ماذا ؟ هَلْ غادَرَتِ البِلادَ ؟»

قالَتِ السَّيِّدَةُ بِهُدوءٍ : « وَلَنْ تَعودَ .»

صاحَ المَلِكُ : « وَالصّورَةُ ؟ هَلْ أَخَذَتْها ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ نَرى .» وَانْدَفَعَ مُتَخَطِّياً المَرْأَةَ العَجوزَ إلى



حُجْرَةِ الجُلوسِ ، وَتَبِعَهُ المَلِكُ وَتَبِعْتُهُ أنا أَيْضاً . وَتَوَجَّهَ هُولْمز إلى لَوْحَةٍ قُرْبَ البابِ وَأَدارَها . كانَتْ عَلى ظَهْرِها صورَةٌ وَرِسالَةٌ مُثَبَّتَتَيْنِ . كانَتِ الصّورَةُ لأيْرين أدْلَر في رِداءِ المَساءِ . وَكانَتْ عَلى الرِّسالَةِ هَذِهِ الكَلِماتُ « إلى السَّيِّدِ شِرْلوك هُولْمز » . وَفَضَّ صاحِبِي الرِّسالَةَ وَقَرَأْنا مَعاً :

« عَزيزي السَّيِّدَ هُولْمز ،

« كُنْتَ غايَةً في الذَّكاءِ ؛ إذِ اكْتَشَفْتَ مَكانَ الصّورَةِ . لَمْ أَدْرِ إلّا بَعْدَ أنْ رَأَيْتُ قُنْبُلَةَ الدُّخانِ . أَنْبَأَني أَحَدُهُمْ بِأَنَّ المَلِكَ سَوْفَ يَطْلُبُ مَشورَتَكَ . وَقَدْ تَفَضَّلوا بِإعْطائي عُنْوانَكَ . لَكِنَّني لَمْ أَعْلَمْ أَنَّ رَجُلَ الدّينِ العَجوزَ لَمْ يَكُنْ سِوى أَنْتَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز . وَعِنْدَما غادَرْتُ غُرْفَةَ الجُلوسِ أَرْسَلْتُ الحوذِيَّ لِمُراقَبَتِكَ ، ثُمَّ تَنَكَّرْتُ في زِيِّ رَجُلٍ وَتَبِعْتُكَ إلى شارِعِ بيكر . كانَ عَلَيَّ أنْ أَتَيَقَّنَ مِنْ حَقيقَتِكَ . لَقَدْ كُنْتُ أنا ذَلِكَ الشّابَّ الَّذي أَلْقى عَلَيْكَ بِتَحِيَّةِ المَساءِ وَتَوَجَّهْتُ بَعْدَها لِلِقاءِ زَوْجي .

« وَقَرَّرْنا أنْ نُغادِرَ إنْجِلْترا عَلى الفَوْرِ ، فَنَحْنُ لا نُريدُ أنْ نَدْخُلَ في نِزاعٍ مَعَكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز . فَلَوْ فَعَلْنا فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ لا بُدَّ مُنْتَصِرٌ عَلَيْنا في النِّهايَةِ . لَيْسَ بِالمَلِكِ حاجَةٌ إلى الخَوْفِ بِشَأْنِ الصّورَةِ ؛ فَلَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً يَمْنَعُ زَواجَهُ . إنَّني الآنَ أُحِبُّ رَجُلاً أَفْضَلَ مِنْهُ . لَقَدْ

كانَ المَلِكُ قاسِياً مَعي . إنَّني خائِفَةٌ مِنْهُ ؛ لِذا سَأَحْتَفِظُ بِالصّورَةِ ؛ لأنّهُ لَنْ يَجْرُؤَ عَلى إيذائي ما دامَتْ هِيَ لَدَيَّ . إنَّني أتْرُكُ لَهُ صورةً أُخْرى لَعَلَّهُ يَرْغَبُ في الاحْتِفاظِ بِها . أمّا أنا فَسَوْفَ أظَلُّ أيُّها العَزيزُ شِرْلوك هُولْمز ، مُخْلِصَةً لَكَ .»

« أيْرين أدْلَر »

صاحَ مَلِكُ بوهيمْيا : « يا لَها مِنَ امْرَأَةٍ ! يا لَها مِنَ امْرَأَةٍ ! لَوْ أنّني تَزَوَّجْتُها لَكانَتْ مَلِكَةً صالِحَةً . لَكِنَّ الفارِقَ بَيْنَنا كَبيرٌ .»

قالَ هُولْمز بِبُرودٍ : « أجَلْ يَبْدو أنَّ الفارِقَ بَيْنَكُما كَبيرٌ جِدًّا ، وَيُؤْسِفُني أنَّنا لَمْ نَسْتَطِعِ الحُصولَ عَلى الصّورَةِ .»

صاحَ المَلِكُ : « عَزيزي السَّيِّدَ هُولْمز ، لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ مُهِما الآنَ . لَقَدْ وَعَدَتْ بِذَلِكَ ، وَهِيَ تَفي بِوُعودِها دائِماً . إنَّ زَواجي بِالأَميرَةِ في أمانٍ .»

قالَ هُولْمز : « يَسُرُّني أنْ أسْمَعَكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، تَقولُ هَذا الكَلامَ .»

قالَ المَلِكُ : « كَيْفَ يُمْكِنُني أنْ أشْكُرَكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ؟ هَلْ تَأْخُذُ هَذا الخاتَمَ ؟ إنَّهُ ثَمينٌ جِدًّا .»

قالَ هُولْمز : « إنَّ لَدَيْكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، شَيْئاً أثْمَنَ

بِالنِّسْبَةِ لي مِنَ الخاتَمِ .»

قالَ المَلِكُ : « اذْكُرْهُ مِنْ فَضْلِكَ .»

وَرَفَعَ هُولْمز صورَةَ آيْرين أدْلر في رِداءِ المَساءِ ، وَقالَ : « هَذِهِ الصّورَةُ .»

بَدا المَلِكُ دَهِشاً ، وَصاحَ قائِلاً : « صورَةُ أيرين ! تَسْتَطيعُ أخْذَها بِالتَّأكيدِ ؛ إنْ كُنْتَ تَرْغَبُها .»

قالَ هُولْمز : « أشْكُرُكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ . أعْتَقِدُ الآنَ أنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَدَيْنا ما نَفْعَلُهُ . أسْتَطيعُ الآنَ أنْ أوَدِّعَكَ مُتَمَنِّياً لَكَ صَباحاً سَعيداً .» وَاسْتَدارَ هُولْمز ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرَ يَدَ المَلِكِ مَمْدودَةً لِمُصافَحَتِهِ ، وَعُدْتُ أنا مَعَ هُولْمز إلى شارِعِ بيكر .

وَهَكَذا نَجا مَلِكُ بوهيمْيا مِنْ فَضيحَةٍ أوْشَكَتْ أنْ تَمَسَّهُ . وَهَكَذا اسْتَطاعَتِ امْرَأَةٌ أنْ تَهْزِمَ شِرْلوك هُولْمز .

سِرُّ وادي بوزْكوم

ذاتَ صَباحٍ كُنْتُ أَتناوَلُ طَعامَ الإفْطارِ مَعَ زَوْجَتي حينَ دَقَّ جَرَسُ البابِ ، وتَلَقَّيْتُ بَرْقِيَّةً مِنْ شرْلوك هُولمْز يَقولُ فيها :

« هَلْ أَنْتَ غَيْرُ مَشْغولٍ مُدَّةَ يَوْمَيْنِ ؟ لَقَدْ تَلَقَّيْتُ لِتَوّي رِسالَةً مِنْ غَرْبِ إنْجِلْترا . سَأَبْدأُ العَمَلَ في قَضِيَّةِ وادي بوزْكوم ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي ؟ سَيُغادِرُ القِطارُ مَحَطَّةَ بادينغتون في الحادِيَةَ عَشْرَةَ والرُّبْعِ .»

سَأَلَتْني زَوْجَتي : « هَلْ سَتَذْهَبُ ، يا عَزيزي ؟»

« لا أَدْري . إنَّني كَما تَرَيْنَ مَشْغولٌ تَماماً في الوَقْتِ الحاضِرِ .»

« سَيَقومُ الدُّكْتور آنِسْتروذَر بِعَمَلِكَ . إنَّكَ تَبْدو مُرْهَقاً ، وَبَعْضُ التَّرْويحِ سَوْفَ يُفيدُكَ .»

« سَوْفَ أَذْهَبُ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَحْزِمَ أَمْتِعَتي في الحالِ ؛ فَالقِطارُ

سيُغادِرُ المَحَطَّةَ خِلالَ نِصْفِ السّاعَةِ .»

بَعْدَ عَشْرينَ دَقيقَةً ، وَصَلْتُ پادينغتون . وَكانَ هُولْمز في انْتِظاري ، فَبادَرَني قائِلاً : « يَسُرُّني أَنَّكَ اسْتَطَعْتَ المَجيءَ يا واطْسُنْ. إِنّي سَأَحْتاجُ إِلى مُساعَدَتِكَ .»

وَصَعِدْنا القِطارَ . وَكانَ هُولْمز قَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ بَعْضَ الصُّحُفِ ، فَشَرَعَ في قِراءَتِها وَتَدْوينِ بَعْضِ المُلاحَظاتِ ثُمَّ قالَ فَجْأَةً : « هَلْ طالَعْتَ شَيْئًا عَنْ قَضِيَّةِ وادي بوزْكوم ، يا واطسُنْ ؟»

« لا . كُنْتُ أوشِكُ أَنْ أَقْرَأَ عَنْها حينَ وَصَلَتْ بَرْقِيَّتُكَ .»

« صُحُفُ لَنْدن مَلأى بِالأَخْبارِ عَنِ هَذِهِ القَضِيَّةِ . لَقَدْ فَرَغْتُ لِتَوِّي مِنْ قِراءَتِها جَميعًا . إِنَّها واحِدَةٌ مِنْ تِلْكَ القَضايا الَّتي في ظاهِرِها يسيرَةٌ ، وَهِيَ في الحَقيقَةِ في غايَةِ التَّعْقيدِ .»

قُلْتُ : « أَوْضِحْ مِنْ فَضْلِكَ ، يا هُولْمز ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ قَضِيَّةٌ يَسيرَةً وَصَعْبَةً في آنٍ واحِدٍ ؟»

« تَرى الشُّرْطَةُ أَنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ يَسيرَةٌ . قُتِلَ رَجُلٌ وَيَقولُونَ إِنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ ابْنِهِ .»

« وَهَلْ قَتَلَهُ ابْنُهُ فِعْلاً ؟»

« لا أدْري . مِنْ أجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ ذاهِبونَ الآنَ إلى وادي بوزْكوم . سَوْفَ أجِدُ الجَوابَ هُناكَ . إنَّها مَنْطِقَةٌ ريفِيَّةٌ ، بِها بَعْضُ القُرى وَالمَزارِعِ . وَأكْثَرُ المَزارِعِ اتِّساعاً مِلْكٌ لِرَجُلٍ يُدْعى جون تيرنَر . إنَّهُ رَجُلٌ غَنِيٌّ ، وَقَدْ جَمَعَ ثَرْوَتَهُ في أسْتراليا ، وَعادَ إلى إنْجِلْترا مُنْذُ بِضْعِ سِنينَ .

« وَكانَ لِلسَّيِّدِ تيرنَرْ صَديقٌ يُدْعى تشارْلز ماكارثي ، تَعَرَّفَ إلَيْهِ في أسْتراليا . وَعاشَ السَّيِّدُ ماكارثي في إحْدى مَزارِعِ السَّيِّدِ تيرنَرْ . وَكانَ ما يَمْلِكُهُ مِنَ المالِ أقَلَّ مِمّا يَمْلِكُهُ السَّيِّدُ تيرنر ، لَكِنَّ الرَّجُلَيْنِ ، كما بَدا ، كانا صَديقَيْنِ حَميمَيْنِ ، وَكَثيراً ما شوهِدا مَعاً .

« وَكانَ لماكارثي ابْنٌ في الثّامِنَةَ عَشْرَةَ ، وَكانَ لِتيرنَر ابْنَةٌ في السِّنِ ذاتِها ، لَكِنَّهما كانا أرْمَلَيْنِ .

« وَيَبْدو أنَّ الأسْرَتَيْنِ كانَتا تَعيشانِ عيشَةً هادِئَةً تَماماً . وَعاشَ تيرنَر في بَيْتٍ فَسيحٍ ، وَكانَتْ تَعْمَلُ عِنْدَهُ أرْبَعُ نِساءٍ وَرَجُلانِ عَلى حين كانَ بَيْتُ ماكارثي أقَلَّ اتِّساعاً وَأناقَةً ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْمَلُ عِنْدَهُ إلّا خادِمَةٌ واحِدَةٌ . وَهَذا كُلُّ ما أعْرِفُهُ عَنِ الأسْرَتَيْنِ ، وَسَوْفَ أخْبِرُكَ الآنَ عَنِ القَضِيَّةِ :

« يَوْمَ الاثْنَيْنِ الماضي ذَهَبَ السَّيِّدُ ماكارثي إلى القَرْيَةِ ، ثُمَّ عادَ

في السّاعَةِ الثّانِيَةِ ، وَرَغِبَ في وَجْبَةِ طَعامٍ ، فَأَبْطَأَتِ الخادِمَةُ في إعْدادِها ، فَطَلَبَ إلَيْها الإسْراعَ في إعْدادِها ؛ لأَنَّهُ على مَوْعِدٍ مُهِمٍّ في السّاعَةِ الثّالِثَةِ . وَغادَرَ المَنْزِلَ قَبْلَ الثّالِثَةِ بِقَليلٍ .

« وَكانَ قَدْ أَخْبَرَ الخادِمَةَ أَنَّهُ ذاهِبٌ إلى بُحَيْرَةِ بوزْكوم ، لَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَعُدْ قَطُّ .

« وَتَبْعُدُ بُحَيْرَةُ بوزْكوم مَسيرَةَ عَشْرِ دَقائِقَ عَنْ مَنْزِلِ السَّيِّدِ ماكارْثي ، وَقَدْ رَآهُ اثْنانِ ، أَحَدُهُما امْرَأَةٌ عَجوزٌ ، وَهُوَ يَتَّجِهُ نَحْوَ البُحَيْرَةِ ، وَكانَ الآخَرُ رَجُلاً يُدعى وِلْيَم كراوْدَر ، وَيَعْمَلُ عِنْدَ السَّيِّدِ تيرنَر . وَقَدْ أَكَّدَ الرَّجُلُ وَالمَرْأَةُ كِلاهُما أَنَّهُما شاهَدا السَّيِّدَ ماكارْثي بِمُفْرَدِهِ .

« وَشاهَدَ السَّيِّدُ كراوْدَر أَيْضاً ابْنَ السَّيِّدِ ماكارْثي ، وَكانَ يَتْبَعُ أَباهُ مُتَأَبِّطًا بُنْدُقِيَّةً . في تِلْكَ الأُمْسِيَّةِ سَمِعَ كراوْدَر أَنَّ السَّيِّدَ ماكارْثي قَدْ قُتِلَ .

« كَذَلِكَ شاهَدَتْ فَتاةٌ في الرّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها تُدعى بيشَنْس موران وَتَقْطُنُ قُرْبَ البُحَيْرَةِ ، السَّيِّدَ ماكارْثي وَابْنَهُ أَيْضاً . وَكانَ ثَمَّةَ صَرْخَةٌ قُرْبَ البُحَيْرَةِ . وَكانَتْ بيشَنْس موران تَقومُ بِقَطْفِ بَعْضِ الأَزْهارِ مِنْها . وَعِنْدَما وَصَلَتْ إلى البُحَيْرَةِ رأتِ السَّيِّدَ



ماكارْثي وَابْنَهُ، وَكانا يَتَشاجَرانِ ، وَسَمِعَت الوالِدَ وَهُوَ يَصْرُخُ في وَجْهِ ابْنِهِ وَرأتْ الابْنَ وَهُوَ يَرْفَعُ يَدَهُ في الهَواءِ ؛ فَخُيِّلَ إِلَيْها أَنَّهُ سَيَضْرِبُ أباهُ . وَشَعَرَتْ بِالخَوْفِ ، فَهُرِعَتْ إلى بَيْتِها ، وَأَخْبَرَتْ والِدَيْها بِما رَأَتْ .

« وَصَلَ ماكارْثي الابْنُ بَعْدَ ذَلِكَ في التَّوِّ إلى مَنْزِلِ الفَتاةِ ، وَقالَ إِنَّ أَباهُ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ وَجَدَهُ مُلْقًى بِالقُرْبِ مِنَ البُحَيْرَةِ . وَلَمْ تَكُنْ بُنْدُقِيَّةُ الصَّبِيِّ وَقُبَّعَتُهُ مَعَهُ ، وَكانَ ثَمَّةَ بُقَعُ دَمٍ عَلى قَميصِهِ .

« ذَهَبَ السَّيِّدُ موران والِدُ الفَتاةِ مَعَ الفَتى إلى البُحَيْرَةِ وَكانَتْ جُثَّةُ السَّيِّدِ ماكارْثي راقِدَةً هُناكَ عَلى العُشْبِ . وَكانَ واضِحاً أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ ضُرِبَ عَلى رَأسِهِ ، وَكانَتْ بُنْدُقِيَّةُ الفَتى وَقُبَّعَتُهُ قُرْبَ الجُثَّةِ . وَتَوَجهَتِ الشُّرْطَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى مَنْزِلِ ماكارْثي الابْنِ ، وَأَلْقَتِ القَبْضَ عَلَيْهِ بِتُهْمَةِ قَتْلِ والِدِهِ .»

سَأَلْتُ : « وَهَلْ تَظُنُّ ذَلِكَ أَنْتَ أَيْضاً ، يا هُولْمز ؟»

« لَسْتُ مُتَأَكِّداً ، لَكِنَّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ . إِنَّ الوَقائِعَ جَميعاً تُشيرُ بِإِصْبَعِ الاتِّهامِ إِلى الفَتَى ماكارْثي . لَكِنَّ ثَمَّةَ مَنْ لا يَرى هَذا الرَّأْيَ ؛ فَها هِيَ ذي ابْنَةُ السَّيِّدِ تيرنَر تُبْرِقُ إِلَيَّ تُريدُني أَنْ أُساعِدَ الفَتى .»

قُلْتُ : « سَيَكونُ الأمْرُ صَعْباً ، يا هُولمْز . إنَّ الوَقائِعَ جَميعاً ضِدُّ الفَتى . ماذا قالَ لِرِجالِ الشُّرْطَةِ ؟»

« وَصَلَتِ الشُّرطَةُ إلى مَكانِ الحادِثِ بَعْدَ ساعَتَيْنِ مِنْ مَقْتَلِ السَّيِّدِ ماكارْثي . وكانَ ابْنُهُ قَدْ انْصَرَفَ إلى البَيْتِ ، فَتَوَجَّهوا إلى بَيْتِهِ وَعِنْدَما طَلَبوا إلَيْهِ أنْ يَصْحَبَهُمْ إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ ، رَدَّ بِأَنَّهُ غَيْرُ دَهِشٍ مِنْ هَذا الطَّلَبِ .»

« أ لأنَّهُ قَتَلَ والِدَهُ حَقًّا ؟»

قالَ هُولمْز : « لا ، لَقَدْ أنْكَرَ وَقْتَها أنَّهُ قَتَلَ والِدَهُ .»

« هَلْ كانَ كاذِباً ؟»

« لا ، أظُنُّ أنَّهُ كانَ صادِقاً . لَقَدْ عَلِمَ أنَّ الوَقائِعَ كانَتْ جَميعاً ضِدَّهُ ؛ لِذا لَمْ يَدْهَشْ عِنْدَما جاءَتِ الشُّرْطَةُ تَسْتَدْعيهِ .»

« ما قِصَّةُ الفَتى ؟»

« إنَّها هُنا في هَذِهِ الصَّحيفَةِ .»

أخَذْتُ الصَّحيفَةَ وَقَرَأْتُ التَّقْريرَ التّالِيَ :

« قالَ السَّيِّدُ جيمس ماكارْثي ابْنُ القَتيلِ :

« كُنْتُ في بريسْتول لِثَلاثَةِ أيّامٍ ، وَقَدْ عُدْتُ إلى مَنْزِلي بَعْدَ ظُهْرِ

الاثْنَيْنِ الماضي . لَمْ يَكُنْ أبي في البَيْتِ . كانَتْ خادِمَتُنا مَوْجودَةً ، فَسَأَلْتُها عَنْهُ ، فَقالَتْ لَقَدْ غادَرَ البَيْتَ مُنْذُ قَليلٍ .

« أَخَذْتُ بُنْدُقِيَّتي وَقَرَّرْتُ أَنْ أَقُومَ بِنُزْهَةٍ عَلى قَدَمَيَّ ، فَأَنا أَصْطَحِبُ بُنْدُقِيَّتي مَعي أَيْنَما ذَهَبْتُ ؛ لأَنَّ الرِّمايَةَ هِيَ رِياضَتي المُفَضَّلَةُ .

« وَبَيْنَما أَسيرُ بِإتِّجاهِ بُحَيْرَةِ بوزْكوم ، مَرَرْتُ بِمَنْزِلِ وِلْيَم كراوْدر وَقَدْ رَآني ؛ فَشَهِدَ لِرِجالِ الشُّرْطَةِ بِأَنَّني كُنْتُ أَتْبَعَ والِدي ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ صَحيحاً ؛ لأَنَّني لَمْ أَكُنْ بَعيداً عَنِ البُحَيْرَةِ عِنْدَما سَمِعْتُ صَيْحَةَ : كُوْ إيْ ! وَكانَتْ تِلْكَ هِيَ الطَّريقَةَ الَّتي اعْتادَ أَبي مُناداتي بِها ؛ فَهُرِعْتُ بِاتِّجاهِ البُحَيْرَةِ . وَكانَ والدي هُناكَ وَقَدْ عَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَهُ عِنْدَما رَآني ، ثُمَّ سَأَلَني عَنْ سَبَبِ حُضوري . بَعدَ ذَلِكَ حَدَثَ أَنْ تَشاجَرْنا . كانَ أَبي جِدَّ غاضِبٍ ؛ لِذا تَرَكْتُهُ وَمَضَيْتُ في طَريقي إلى البَيْتِ .

« لَمْ أَكُنْ قَدْ قَطَعْتُ سِوى مَسافَةٍ قَصيرَةٍ عِنْدَما سَمِعْتُ صَيْحَةً فَظيعَةً ، فَعَدَوْتُ راجِعاً إلى البُحَيْرَةِ . كانَ أَبي مُلْقًى عَلى الأَرْضِ، وَقَدْ أَصابَتْهُ ضَرْبَةٌ عَلى رَأْسِهِ . وَكانَ يُحْتَضَرُ ، فَأَلْقَيْتُ بُنْدُقِيَّتي وَأَخَذْتُهُ بَيْنَ ذِراعَيَّ لَكِنَّهُ لَفَظَ أَنْفاسَهُ الأَخيرَةَ .

« تَوَجَّهْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ موران وَطَلَبْتُ إلَيْهِ

مُساعَدَتي . وَلَمْ أَرَ أحَداً قُرْبَ والِدي ، وَلا أعْرِفُ مَنْ قَتَلَهُ .»

وَأضافَ هولمْز قائِلاً : « ثُمَّ اسْتَجْوَبَ المُفَتِّشُ لِيسْتْرِيد مِنْ سكوتْلانْد يارْد الفَتى ، فَدارَ بَيْنَهُما الحِوارُ التّالي :

« لِيسْتْرِيد : « هَلْ قالَ أبوكَ أيَّ شَيْءٍ قَبْلَ وَفاتِهِ ؟»

« ماكارْثي : « تَمْتَمَ بِكَلِماتٍ قَليلَةٍ غَيْرِ واضِحَةٍ . سَمِعْتُ مِنْها كَلِمَةَ ' رات ' فَقَطْ .»

« لِيسْتْرِيد : « لِمَ قالَ ذَلِكَ ؟»

« ماكارْثي : « لا أدْري .»

« لِيسْتْرِيد : « لِمَ كُنْتَ تَتَشاجَرُ مَعَ وَالِدِكَ ؟»

« ماكارْثي : « لا أسْتَطيعُ الإجابَةَ عَنْ ذَلِكَ السُّؤالِ .»

« لِيسْتْرِيد : « هَلْ تَرْفُضُ الإجابَةَ ؟ إنَّ ذَلِكَ لَيْسَ في صالِحِكَ .»

« ماكارْثي : « رَغْمَ ذَلِكَ فَأنا أرْفُضُ .»

« لِيسْتْرِيد : « وَالآنَ هَلْ كانَتْ صَيْحَةُ : ' كو إي ' الإشارَةَ المُعْتادَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أبيكَ ؟»

« ماكارْثي : « أجَلْ !»

« لِيسْتِرِيد : « لكِنَّهُ كانَ يَظُنُّ أَنَّكَ في بريسْتول ؛ فَلِمَ أَصْدَرَ الإشارَةَ ؟»

« ماكارْثي : « لَسْتُ أَدْري .»

« لسْتراد : « وَجَدْتَ أباكَ مُلْقى عَلى الأَرْضِ قُرْبَ البُحيْرَةِ ، فَهَلْ رَأَيْتَ أيَّ شَيْءٍ آخَرَ ؟»

« ماكارْثي : « أَظُنُّ أَنَّني رَأَيْتُ شَيْئاً . كانَ رَمادِيَّ اللَّوْنِ . لَعَلَّهُ كانَ مِعْطَفاً . بَحَثْتُ عَنْهُ وَأَنا أغادِرُ المَكانَ ، لَكِنَّهُ كانَ قَدِ اخْتفى .»

« لِيسْتِرِيد : « هَلِ اخْتَفى قَبْلَ ذَهابِكَ في طَلَبِ النَّجْدَةِ ؟»

« ماكارْثي : « أَجَلْ .»

« لِيسْتِرِيد : « كَمْ كانَ يَبْعُدُ عَنِ الجُثَّةِ ؟»

« ماكارْثي : « عَشَرَةَ أَمْتارٍ تَقْرِيباً .»

« لِيسْتِرِيد : « وَعَنْ طَرَفِ الغابَةِ ؟»

« ماكارْثي : « المَسافَةَ ذاتَها تَقْرِيباً .»

« لِيسْتِرِيد : « كُنْتَ قَرِيباً تَماماً وَرَغْمَ ذَلِكَ اخْتَفى ؟»

« ماكارْثي : « أَجَلْ . كانَ خَلْفي .»»

كانَتْ تِلْكَ قِصَّةَ ماكارْثي الابْنِ .

* * *

وَصَلْنا إلى بَلْدَةِ روس في وادي بوزْكوم ، وَكانَ المُفَتِّشُ لِيسْترِيد في انْتِظارِنا ؛ فَقَدْ كانَ على عِلْمٍ بِقُدومِنا بَعْدَ أَنْ أَبْرَقَ إِلَيْهِ هُولمز . وَرَكِبْنا عَرَبَةً إلى فُنْدُقِ روس ، حَيْثُ حَجَزَ لنا لِيسْترِيد غُرْفَتَيْنِ .

وَذَهَبْنا إلى غُرَفِنا ثُمَّ طَلَبْنا بَعْضَ الشّاي .

قالَ لِيسْترِيد : « لَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِعَرَبَةٍ ، فَتَسْتَطيعونَ الذَّهابَ إلى البحَيْرَةِ قَبْلَ حُلولِ الظَّلامِ .»

قالَ هُولمز : « شُكْرًا لَكَ يا لِيسْترِيد ، لَكِنَّني لَنْ أَخْرُجَ اللَّيْلَةَ .»

ضَحِكَ لِيسْترِيد ، وَقالَ : « أَجَلْ ، فَلَوْ فَعَلْتَ لَكانَ ذَلِكَ مَضْيَعَةً لِلْوَقْتِ . لَقَدْ قَتَلَ الفَتى ماكارْثي والِدَهُ ، فَلا أَدْري لِمَ أَرْسَلَتِ الآنِسَةُ تيرْنَر في طَلَبِكَ ؟ إِنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُضيفَ شَيْئًا ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَها بِذَلِكَ . ها هِيَ ذي . لَقَدْ تَوَقَّفَتْ عَرَبَتُها لِتَوِّها لَدى البابِ .»

انْفَتَحَ البابُ وَدَلَفَتْ سَيِّدَةٌ حَسْناءُ . كانَتْ عَيْناها تَبْرُقانِ . وَكانَتْ بادِيَةَ الاضْطِرابِ وَالانْفِعالِ .

صاحَتْ : « رَبّاهُ ! سَيِّدُ شِرْلوك هُولمز ؟ يَسُرُّني أَنَّكَ اسْتَطَعْتَ

المَجيءَ . إنَّ جيمس ماكارْثي لَمْ يَقْتُلْ أباهُ . لَقَدْ عَرَفْتُ جيمس مُنْذُ كُنّا طِفْلَيْنِ وَأَعْرِفُ أَخْطاءَهُ أَكْثَرَ مِنْ أيِّ إنْسانٍ آخَرَ . لَكِنَّهُ شابٌّ لَطيفٌ وَعلى خُلُقٍ ، وَلا يُسَبِّبُ أذًى لأيِّ إنْسانٍ .»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ أحاوِلُ مُساعَدَتَهُ .»

« لَقَدْ سَمِعْتَ الحِكايَةَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ؛ فَهَلْ تَعْتَقِدُ أنَّ جيمس قَتَلَ والِدَهُ ؟»

قالَ هُولْمز : « لا أعْتَقِدُ ذَلِكَ .»

صاحَتِ الآنِسَةُ تيرْنَر : « ما قَوْلُكَ الآنَ أيُّها المُفَتِّشُ لِيسْترِيد ، بَعْدَ أنْ سَمِعْتَ السَّيِّدَ هُولْمز ؟»

رَدَّ لِيسْترِيد : « أنا لا أتَّفِقُ مَعَ السَّيِّدِ هُولْمز .»

قالَتْ الآنِسَةُ تيرْنَر : « لَكِنَّهُ عَلى حَقٍّ . إنَّ جيمس لَمْ يَقْتُلْ والِدَهُ . إنَّهُ لَمْ يُفَسِّرْ سَبَبَ الشِّجارِ مَعَ أبيه ، لَكِنَّني أعْرِفُ لِماذا تَشاجَرا ؛ لَقَدْ أرادَ السَّيِّدُ ماكارْثي أنْ يُزَوِّجَهُ بي ، لَكِنَّ جيمس لَمْ يَكُنْ يُحِبُّني كَزَوْجَةٍ ، بَلْ يُحِبُّني كَما يُحِبُّ الأخُ أخْتَهُ ؛ لِذا لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ في الزَّواجِ بي . وَكَثيراً ما تَشاجَرَ جيمس وَ والِدُهُ مِنْ جَرّاء ذَلِكَ .»

سأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَ أبوكِ يَرْغَبُ في تَزْويجِكِ جيمس ؟»

قالَتِ الآنِسَةُ تيرنَر : « لا ، كانَ ضِدَّ الفِكْرَة .»

« شُكْراً لَكِ ، يا آنِسَةُ تيرْنَر . لَقَدْ كانَتْ لأقوالِكِ أهَمِّيَّةٌ قُصْوى. أوَدُّ رُؤيَةَ أبيكِ . هَلْ أسْتَطيعُ القُدومَ إلى مَنْزِلِكُمْ غَداً ؟»

« يُؤسِفُني ألا يَسْتَطيعَ مُقابَلَتَكَ بِسَبَبِ مَرَضِهِ ، فَلَنْ يَسْمَحَ الطَّبيبُ بِالزِّياراتِ .»

سأَلَ هُولْمز : « مُنْذُ مَتى أبوكِ مَريضٌ ؟»

« مُنْذُ أعْوامٍ عَديدَةٍ . لكِنَّ هَذا الحادِثَ المُؤسِفَ جَعَلَهُ أكْثَرَ سوءاً .»

قالَ هُولْمز : « أدْرِكُ ما تَقولينَ . أخْبِريني ، يا آنِسَةُ تيرنَر ، أيْنَ الْتَقى أبوكِ وَالسَّيِّدَ ماكارْثي لأوَّلِ مَرَّةٍ ؟»

« في أسْتراليا ، عِنْدَ المَناجِمِ .»

« أجَلْ ، عِنْدَ مَناجِمِ الذَّهَبِ . جَمَعَ أبوكِ ثَرْوَتَهُ مِنْها . شُكْراً لَكِ ، يا آنِسَةُ تيرْنَر . لَقَدْ ساعَدْتِني كَثيراً .»

قالَتِ الآنِسَةُ تيرْنَر : « عَلَيَّ أنْ أذْهَبَ الآنَ إلى أبي ؛ فَهُوَ يَفْتَقِدُني إذا ما تَرَكْتُهُ وَقْتاً طَويلاً . وَداعاً ، يا سَيِّدُ هُولْمز .»

وَهُرِعَتْ مُغادِرَةً الغُرْفَةَ .

قالَ لِيستْرِيد : « لا بُدَّ أنْ تَخْجَلَ مِنْ نَفْسِكَ ، يا هُولْمز ؛ فَهِيَ تَعْتَقِدُ الآنَ أَنَّكَ تَسْتَطيعُ مَدَّ يَدِ العَوْنِ إلى جيمْس ماكارْثي .»

قالَ هُولْمز : « لَكِنَّني بِالتَّأكيدِ أَسْتَطيعُ مُساعَدَتَهُ ، وَسَيُطْلَقُ سَراحُهُ في الحالِ . هَلْ بِاسْتِطاعَتي مُقابَلَتُهُ »

قالَ لِيستْرِيد : « بِالطَّبْعِ ، وَسَآخُذُكَ إِلَيْهِ .»

« إذاً سَأَخْرُجُ اللَّيْلَةَ ، يا واطْسُن . وسَأَتَغَيَّبُ مُدَّةَ ساعَتَيْنِ .»

أَوْشَكَ اللَّيْلُ أنْ يَنْتَصِفَ حينَ عادَ هُولْمز . قالَ : « آمُلُ ألا يَسْقُطَ المَطَرُ غَداً ؛ إذ أُريدُ أنْ أَفْحَصَ التُّرْبَةَ قُرْبَ بُحَيْرَةِ بوزْكوم . لَقَدْ قُمْتُ بِزِيارَةِ الفَتى ماكارْثي .»

« بِمَ أخْبَرَكَ ؟»

« إنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الهُجومِ عَلى والِدِهِ ، وَقَدْ أَوْضَحَ لي السَّبَبَ الحَقيقيَّ لِلشِّجارِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ والِدِهِ . إنَّ الفَتى ماكارْثي يُحِبُّ الآنِسَةَ تيرْنَر ، لَكِنَّها ابْتَعَدَتْ عَنْهُ قُرابَةَ خَمْسَةِ أَعْوامٍ قَضَتْها في الدِّراسَةِ ، وَتَعَرَّفَ جيمْس خِلالَ هَذِهِ المُدَّةِ إلى فَتاةٍ في بريسْتول . وَكانَ وَقْتَها حَدَثاً ، فَتَزَوَّجَها سِرًّا .

« كانَ أبوه دائِمَ الإلْحاحِ عَلَيْهِ في أنْ يَتَزَوَّجَ الآنِسَةَ تيرْنَر . وَقَدْ

أرادَ جيمْس أنْ يُطيعَ والِدَهُ ، لَكِنَّ ذَلكَ كانَ مُسْتَحيلاً لِكَوْنِهِ مُتَزَوِّجاً . وَذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ في تَشاجُرِهِما ، وَالسَّبَبُ في أنْ طَوَّحَ جيمْس بِيَدَيْهِ في الهَواءِ . وَلَمْ يَكُنْ في نِيَّتِهِ الاعْتِداءُ عَلى أبيهِ .»

سَأَلْتُ : « وَلِمَ لَمْ يُخْبِرْ أباهُ بِأَنَّهُ مُتَزَوِّجٌ ؟»

« كانَ أبوهُ رَجُلاً صَعْبَ المِراسِ ، فَلَوْ فَعَلَ لأَلْقى بِهِ خارِجَ المَنْزِلِ . وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ ما يُقيمُ بِهِ أَوَدَهُ ؛ لِذا كانَ عَلَيْهِ البَقاءُ مَعَ والِدِهِ . هَلْ تَذْكُرُ يَوْمَ أنْ قَضى جيمْس ثَلاثَةَ أيامٍ في بريسْتول ؟ لَقَدْ أمْضاها مَعَ زَوْجَتِهِ .»

سَأَلْتُ : « هَلْ تَعْرِفُ زَوْجَةُ جيمْس أَنَّهُ في مِحْنَةٍ ؟»

« أجَلْ . لَقَدْ أرْسَلَتْ إلَيْهِ مُعْلِنَةً إيّاهُ أنَّها قَدْ أنْهَتْ عَلاقَتَها بِهِ . لَقَدْ كانَتْ مُتَزَوِّجَةً قَبْلَ لِقائِها بِجيمْس .»

« إذاً فَإِنَّ جيمْس لَمْ يَكُنْ مُتَزَوِّجاً بِها !»

قالَ هُولْمْز : « هَذا صَحيحٌ ، وَهُوَ الخَبَرُ السّارُّ الوَحيدُ الَّذي حَصَلَ عَلَيْهِ جيمس .»

سَأَلْتُ : « إذا لَمْ يَكُنْ جيمْس هُوَ الَّذي قَتَلَ والِدَهُ ، فَمَنِ الَّذي قَتَلَهُ ؟»

« إنَّني أسْأَلُ السُّؤالَ نَفْسَهُ . لَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ لِمُقابَلَةِ شَخْص

ما وَلَمْ يَكُن ابْنَهُ ، بَلْ كانَ أحَدَ مَعارِفِهِ ؛ لِذا أطْلَقَ صَيْحَتَهَ « كو إي » .»

* * *

في الصَّباحِ التّالي كانَ الطَّقْسُ لَطيفاً ، فَتَوَجَّهْنا – لِيسْترِيد ، وَهُولْمز ، وَأنا – إلى مَنْزِلِ آلِ ماكارْثي .

قالَ لِيسْترِيد : « لَقَدْ قابَلْتُ طَبيبَ السَّيِّدِ تيرْنَر هَذا الصَّباحَ . إنَّ حالَةَ السَّيِّدِ تِيرْنَر تَزْدادُ سوءاً . إنَّهُ يُحْتَضَرُ ؛ فَمُنْذُ سِنينَ خَلَتْ وَهُوَ طَريحُ الفِراشِ . لَكِنَّ هَذا الحادِثَ المُؤسِفَ زادَ حالَتَهُ سوءاً . وَعَلى أيَّةِ حالٍ ، فَإنَّ ماكارْثي كانَ صَديقَهُ . لَقَدْ أثَّثَ لَهُ بَيْتاً ، وَساعَدَهُ بِطُرُقٍ شَتّى .»

قالَ هُولْمز : « لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ في زَواجِ ابْنَتِهِ بِابْنِ صَديقِهِ . وَهَذا يَبْدو غَريباً إلى حَدٍّ ما .»

وَصَلْنا إلى مَنْزِلِ آلِ ماكارْثي ، وَقَرَعْنا الجَرَسَ فَفَتَحَتْ فَتاةٌ البابَ . وَطَلَبَ إلَيْها هُولْمز أنْ تُحْضِرَ زَوْجاً مِنْ أحْذِيَةِ السَّيِّدِ ماكارْثي وَزَوْجاً مِنْ أحْذِيَةِ ابْنِهِ وَأخَذَ مَقاسَهُما ، ثُمَّ سَلَكْنا الطَّريقَ إلى بُحَيْرَةِ بوزْكوم . وَيَبْلُغُ عَرْضُ بُحَيْرَةِ بوزْكوم خَمْسينَ مِتْراً ، وَهِيَ تَقَعُ بَيْنَ مَزْرَعَةِ السَّيِّدِ تيرْنَر وَمَنْزِلِ السَّيِّدِ ماكارْثي . وَعَلى الجانِبِ القَريبِ



مِنْ مَنْزِلِ ماكارْثي غابَةٌ كَثيفَةٌ . وَالمسافَةُ بَيْنَ طَرَفِ البُحَيْرَةِ وَالغابَةِ عِشْرونَ مِتْراً . وَكانَتِ الأَرْضُ جِدُّ نَدِيَّةٍ ، وَمُغَطّاةً بِالعُشْبِ .

سَأَلَ هُولْمز : « أَيْنَ كانَتِ الجُثَّةُ ؟ »

أَشارَ لِيسْتْرِيد إلى المَكانِ . وَقَدْ تَرَكَتِ الجُثَّةُ أَثَراً عَلى التُّرْبَةِ اللَّيِّنَةِ . وَتَفَحَّصَ هُولْمز الأَرْضَ ، ثُمَّ قالَ :

« آهِ ! ها هِيَ ذي ثَلاثَةُ أَنْواعٍ مِنَ الآثارِ . إِنَّها آثارُ أَقْدامِ الفَتى

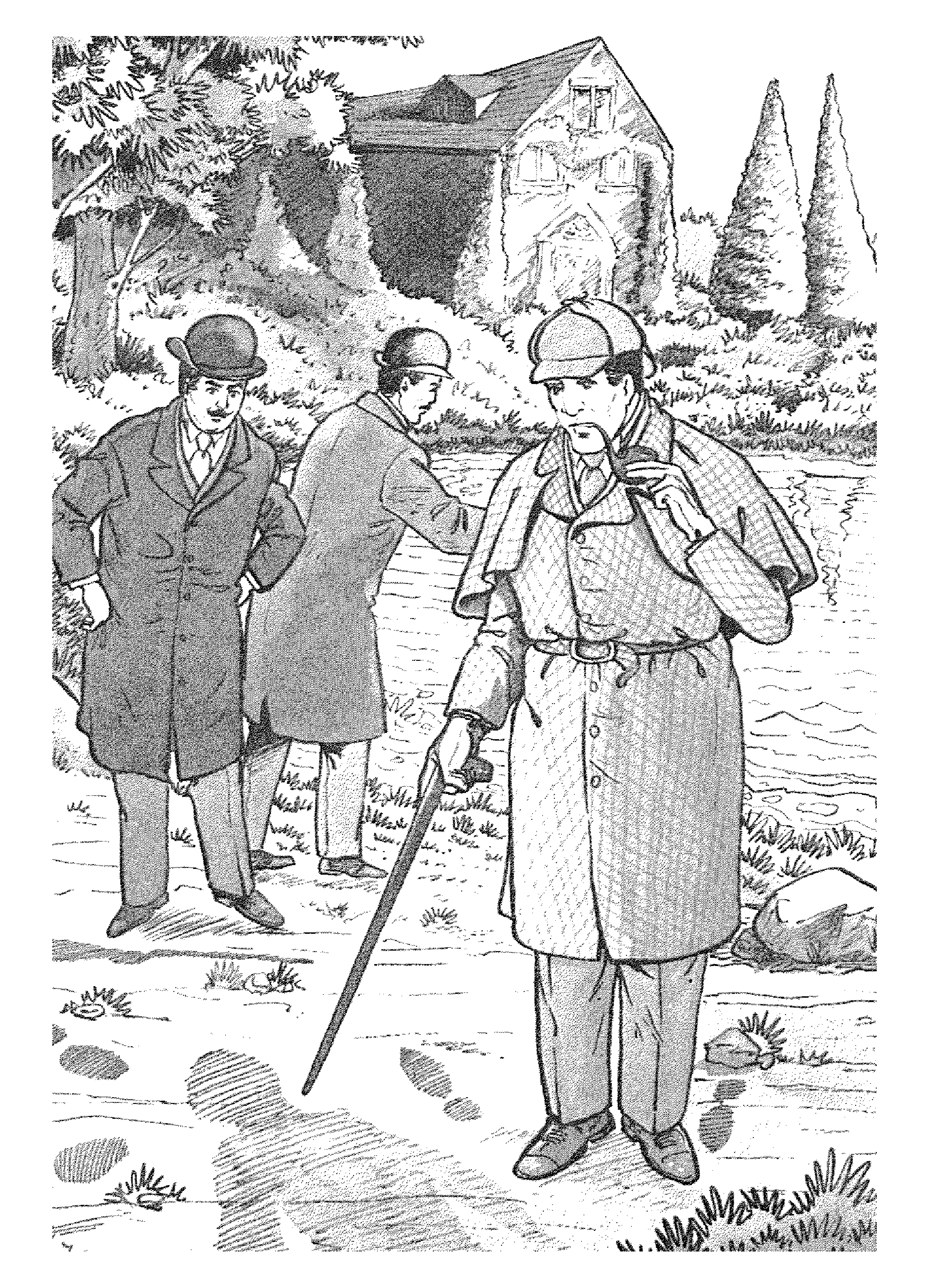
ماكارْثي ، كانَ في نَوْعَيْنِ مِنْها ماشِياً ، ثُمَّ جَرى مُسْرِعاً في آخِرِ الأمْرِ . وَهَذا يَتَّفِقُ مَعَ حِكايَتِهِ ؛ لَقَدْ جَرى نَحْوَ أَبْيه عِنْدَما كانَ على الأرْضِ . وَها هِيَ ذي آثارُ أقْدامِ أبيهِ ، ثُمَّ آثارٌ تَرَكَتْها بُنْدُقِيَّةٌ . كانَ الابْنُ هُنا يُنْصِتُ إلى أبيهِ . ما هَذا الَّذي أرى ؟ أجَلْ ! ثَمَّةَ شَخْصٌ . كانَ يَتَسَلَّلُ عَلى رُءوسِ أصابِعِ قَدَمَيْهِ ! إنَّ لِحِذائِهِ أصابِعَ مُرَبَّعَةً . هُنا تُقْبِلُ ، وَهُنا تُدْبِرُ ، ثُمَّ هُنا تُقْبِلُ مِنْ جَديدٍ لإحْضارِ المِعْطَفِ ؛ فَمِنْ أَيْنَ أَتَتْ ؟»

وَتَبِعَ هُولْمز الآثارَ إلى حافَةِ الغابَةِ ، ثُمَّ مَضى إلى ما وَراءَ إحْدى الأشْجارِ الكَبيرَةِ ، فَالْتَقَطَ حَجَراً كَبيراً إلى حَدٍّ ما ، وَ وَضَعَهُ في جَيْبِهِ . وَسَلَكْنا مَمَراً عَبْرَ الغابَةِ ، فَبَلَغْنا الطَّريقَ .

تَوَقَّفَ هُولْمز أمامَ مَنْزِلٍ ، وَقالَ : « لا بُدَّ أنَّ السَّيِّدَ موران يُقيمُ هُنا . إنّي أرْغَبُ في لِقائِهِ ، وَيَجِبُ أنْ أكْتُبَ مُذَكِّرَةً وَأُسَلِّمَها لَهُ . أمّا أنْتُما فَبِإمْكانِكُما الانْتِظارُ في العَرَبَةِ . سَأعودُ بَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ .»

وَبَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ ، كُنّا في العَرَبَةِ عائِدينَ إلى الفُنْدُقِ .

أخْرَجَ هُولْمز الحَجَرَ مِنْ جَيْبِهِ ، وَسَأَلَ : « هَلْ رَأَيْتَ هَذا ، يا لِيسْتْرِيد ؟ إنَّ هَذا الحَجَرَ هُوَ الَّذي قَتَلَ السَّيِّدَ ماكارْثي .»



قالَ لِيسْتْرِيد : « وَلَكِنّي لا أرى عَلَيْهِ آثاراً لِدِماءٍ ؛ فَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ الحَجَرُ الَّذي قَتَلَ ماكارْثي ؟»

« كانَ العُشْبُ غَزيراً تَحْتَهُ ، وَهَذا يَعْني أَنَّ الحَجَرَ لَمْ تَمْضِ عَلَيْهِ إلّا أَيّامٌ قَلائِلُ . ثُمَّ إنَّ شَكْلَ الحَجَرِ يَنْطَبِقُ عَلى أَثَرِ الإصابَةِ في رَأْسِ السَّيِّدِ ماكارْثي .»

« إذاً مَنِ الَّذي قَتَلَهُ ؟»

قالَ هُولْمز : « رَجُلٌ طَويلُ القامَةِ ، أَعْسَرُ مُصابٌ في ساقِهِ اليُمْنى ، وَيَنْتَعِلُ حِذاءً ثَقيلاً مُرَبَّعاً عِنْدَ الأَصابِعِ ، وَمَعَهُ مِعْطَفٌ رَمادِيُّ اللَّوْنِ . الآنَ أَصْبَحَ لَدَيْكَ وَصْفٌ دَقيقٌ لَهُ ، يا لِيسْتْرِيد . وَسَوْفَ تَتَمَكَّنُ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ . سَأَكونُ مَشْغولاً بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ ؛ إذْ سَأَعودُ إلى لَنْدن اللَّيْلَةَ .»

قالَ لِيسْتْرِيد : « وَلَكِنَّ هذا الوَصْفَ يَنْطَبِقُ عَلى أُناسٍ كَثيرينَ ؛ فَهَلّا أَعْلَمْتَني مَنْ يَكونُ ؟»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما أُرْسِلُ إلَيْكَ رِسالَةً في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ مَساءِ اليَوْمِ .»

وَعُدْنا إلى الفُنْدُقِ ، وَمَضى لِيسْتْرِيد إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ .

قالَ هُولْمز : « سَأُحَدِّثُكَ ، يا واطْسُن ، عَنْ أَمْرَيْنِ في قِصَّةِ الفَتى

ماكارْثي : الأَوَّلُ صَيْحَةُ أَبيهِ «كو إي» وَالثّاني فَكَلِمةُ «رات» .»

سَأَلْتُ : « ماذا عَنِ الصَّيْحَةِ « كو إي » ؟»

« لَمْ يَكُنْ يَصيحُ عَلى وَلَدِهِ ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ عادَ . إنَّ هَذِهِ الصَّيْحَةَ يُطْلِقُها الأَسْتُرالِيّونَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ يَصيحُ عَلى شَخْص أَسْتُرالِيٍّ .»

« ماذا عَنْ كَلِمَةِ « رات » ؟»

أَخْرَجَ شِرْلوك هُولمز وَرَقَةً مِنْ جَيْبِهِ ، وَكانَتْ خَريطَةً لأَسْتُراليا . وَغَطّى بِإِصْبَعِهِ جُزْءاً مِنْها ، ثُمَّ سَأَلَني : « كَيْفَ تَقْرَأُ هَذا ؟»

قُلْتُ : « راتْ !»

وَرَفَعَ هُولمز إِصْبَعَهُ عَنِ الجُزْءِ وَقالَ : « وَالآنَ ؟»

قُلْتُ : « بَلّارات .»

« هَذا صَحيحٌ ، يا واطْسُن . كانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمةٍ نَطَقَ بِها ماكارْثي . كانَ يَقولُ اسْمَ الرَّجُلِ الَّذي قَتَلَهُ .»

قُلْتُ : « تَقْصِدُ أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَلّارات قَتَلَ ماكارْثي ؟»

قالَ هُولمز : « أَجَلْ . إِنَّ قاتِلَ ماكارْثي رَجُلٌ مِنْ مَعارِفِهِ ، وَقَدْ كانَ في بَلّاراتْ وَقْتَ وُقوعِ الجَريمَةِ . وَهُوَ يَرْتَدي مِعْطَفاً رَماديًّا ،

وَحِذاؤه مُربَّعٌ عِنْدَ الأصابِعِ ، وَخُطُواتُه واسِعَةٌ ؛ فَهُوَ يَتَسَّمُ بِطولِ القامَةِ .»

قُلْتُ : « أ هُوَ مُصابٌ في ساقِهِ اليُمْنى .»

قالَ هُولمْز : « أجَلْ ، إنَّ قَدَمَهُ اليُسْرى تَتْرُكُ على الأرْضِ أثَراً أعْمَقَ . وَهَذا يَدُلُّ على أنَّهُ يَضَعُ ثِقَلاً أقَلَّ على قَدَمِهِ اليُمْنى وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ مُصابٌ في ساقِهِ اليُمْنى .»

« وَكَيْفَ عَرَفْتَ أنَّهُ أعْسَرُ ؟»

رَدَّ هُولمْز : « وَقَفَ وَراءَ ماكارْثي . وَضَرَبَهُ عَلى الجانِبِ الأيْسَرِ مِنْ رَأسِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَسْتَخْدِمُ يَدَهُ اليُسْرى .»

قُلْتُ : « لَقَدْ أنْقَذْتَ ماكارْثي الصَّغيرَ ، يا هُولمْز ؛ فالرَّجُلُ الَّذي قَتَلَ أباهُ كانَ ...»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ انْفَتَحَ البابُ ، وَدَخَلَ الخادِمُ مُعْلِناً قُدومَ السَّيِّدِ جون تيرْنَر .

كانَ زائِرُنا رَجُلاً طَويلَ القامَةِ ، ذا خُطْوَةٍ بَطيئَةٍ مِنْ جَرّاءِ عاهَةٍ بِساقِهِ اليُمْنى . وَكانَ وَجْهُهُ شاحِباً بادِيَ المَرَضِ .

دَعاهُ هُولمْز قائِلاً : « اجْلِسْ مِنْ فَضْلِكَ . هَلْ تَسَلَّمْتَ مُذَكِّرَتي ؟»

قالَ الرَّجُلُ : « أجلْ . لَقَدْ أحْضَرَها إليَّ السَّيِّدُ موران . لِماذا تَرْغَبُ في مُقابَلَتي ؟»

قالَ هُولْمز : « لأنَّكَ قَتَلْتَ ماكارْثي .»

وَضَعَ المَريضُ يَدَيْهِ عَلى وَجْهِهِ وَصاحَ : « يَعْلَمُ اللّٰهُ أنّني لَمْ أكُنْ عازِماً عَلى أنْ يُؤخَذَ الفتى ماكارْثي بِجَريمَةٍ ارْتَكَبْتُها أنا . لَقَدْ كُنْتُ في طَريقي إلى الشُّرْطَةِ .»

رَدَّ هُولْمز : « يَسُرُّني أنْ أسْمَعَ مِنْكَ ذَلِكَ .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « كُنْتُ أفَكِّرُ في ابْنَتي ؛ فَهَذا الأمْرُ سَوْفَ يَشُقُّ عَلَيْها .»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما لا تَسْمَعُ بِذَلِكَ .»

« ماذا ؟»

قالَ هُولْمز : « أنا لَسْتُ شُرْطِيًّا ، وَابْنَتُكَ هِيَ الَّتي أرْسَلَتْ في طَلَبي . وَأنا أمُدُّ لَها يَدَ العَوْنِ ، وَكُلُّ ما أسْعى إلَيْهِ هُوَ إنْقاذُ الفَتى ماكارْثي .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « إنَّني عَلى شَفا المَوْتِ ، وَيَعْتَقِدُ الأطِبّاءُ أنَّني قَدْ لا أتَجاوَزُ الشَّهْرَ ، وَأُفَضِّلُ المَوْتَ في فِراشي .»

نَهَضَ هُولْمز وَمضى نَحْوَ المِنْضَدَةِ ، وَأَخَذَ وَرَقَةً وَقَلَماً ، وَقالَ : « أَخْبِرْني بِما حَدَثَ . سَوْفَ أُدَوِّنُهُ ، ثُمَّ تُوَقِّعُهُ أَنْتَ ؛ فَإِذا أَطْلَقَتِ الشُّرْطَةُ سَراحَ الفَتى ماكارْثي فَإِنَّ هَذا الأَمْرَ سَيَظَلُّ في طَيِّ الكِتْمانِ . وَإِذا لَمْ يُطْلِقوا سَراحَهُ ؛ فَسَوْفَ أُقَدِّمُ الوَرَقَةَ إِلَيْهِمْ . »

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « شُكْراً لَكَ . الآنَ سَأُخْبِرُك بِكُلِّ شَيْءٍ : في عام ١٨٦٠ ذَهَبْتُ إِلى أُسْتُراليا بَحْثاً عَنِ الذَّهَبِ ، لَكِنَّني لَمْ أَعْثُرْ عَلى أَيِّ أَثَرٍ لَهُ . وَكُنْتُ وَقْتَها شاباً يافِعاً ، فَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْمَعَ حَوْلي نَفَراً مِنْ أَصْحابِ السُّوءِ ، وَكَوَّنّا عِصابَةً تَتَأَلَّفُ مِنْ سِتَّةِ أَشْخاصٍ . وَكُنّا نَتَعَرَّضُ لِلنّاسِ في الطُّرُقاتِ الَّتي تَتَفَرَّعُ عَنْ مِنْطَقَةِ المَناجِمِ ، وَنَسْلُبُهُمْ ما لَدَيْهِمْ مِنْ ذَهَبٍ .

« وَذاتَ يَوْمٍ كانَتْ ثَمَّةَ شِحْنَةٌ مِنَ الذَّهَبِ تُنْقَلُ مِن بَلّارات إِلى مِلْبورْن ، فَكَمَنّا لَها . وَكانَ يَحْرُسُ الشِّحْنَةَ سِتَّةٌ مِنْ رِجالِ الشُّرْطَةِ وَالسّائِقِ ؛ فَقَتَلْنا يَوْمَها رِجالَ الشُّرْطَةِ السِّتَّةَ في مُقابِلِ ثَلاثَةٍ مِنْ رِفاقي . وَكُنْتُ أوشِكُ أَنْ أُطْلِقَ النّارَ عَلى السّائِقِ ، إِلّا أَنَّني قَرَّرْتُ الإِبْقاءَ عَلى حَياتِهِ . وَكانَ اسْمُهُ ماكارْثي . وَبَعْدَ أَن اسْتَوْلَيْنا عَلى الشِّحْنَةِ وَاقْتَسَمْناها صِرْتُ غَنِيًّا ، فَعُدْتُ إِلى إِنْجِلْترا ، وَاشْتَرَيْتُ مَزْرَعَةً ، وَعِشْتُ عيشَةً هادِئَةً هانِئَةً ، مُحاوِلاً نِسْيانَ الماضي . وَتَزَوَّجْتُ ، لَكِنَّ زَوْجَتي تُوُفِّيَتْ تارِكَةً لِيَ ابْنَتَنا أَليس. وَحَدَثَ أَنِ

الْتقَيْتُ وماكارْثي .

« وَكُنْتُ يَوْمَها أسيرُ في شارِعِ ريجنت عِنْدَما صادَفْتُهُ ، وَكانَ يَرْتَدي ثِياباً رَثَّةً ، وَقَدْ بَدا مُعْدِماً تَماماً ، فَبادَرَني قائِلاً : « ها نَحْنُ ، يا جون ، قابَلْناكَ أخيراً . إنَّ لِي ابْناً يَحْتاجُ لِلرِّعايَةِ ، فَعَلَيْكَ أنْ تُعْنى بِكِلَيْنا مِنَ الآنِ فَصاعِداً . إمّا أنْ تَفْعَلَ وَإمّا أنْ أبْلِغَ الشُّرْطَةَ !»

« وَانْتَقَلا إلى وادي بوزْكوم ، وَلَمْ يَشَأْ ماكارْثي مُغادَرَةَ المَكانِ . وَكانَ عَلَيَّ أنْ أؤَثِّثَ لَهُ مَنْزِلاً وَأقْطِعَهُ أرْضاً مِنْ أخْصَبِ ما لَدَيَّ . وَلَمْ أعْرِفْ الرّاحَةَ وَالسَّكينَةَ بَعْدَها ؛ فَلَمْ أسْتَطِعْ نِسْيانَ الماضي وَماكارْثي أمامي دائِماً . وَكَبُرَتْ ألِيس وَأنا أخْشى أنْ تَعْلَمَ بِأمْرِ الماضي . وَأدْرَكَ ماكارْثي هَذا ، فَكانَ عَلَيَّ أنْ أسْتَرْضِيَهُ دائِماً بِالنُّقودِ وَالأرْضِ . وَأخيراً طَلَبَ ألِيس لابْنِهِ .

« وَكُنْتُ قَدِ اجْتاحَني المَرَضُ عِنْدَما جاءَني يَطْلُبُ ألِيس زَوْجَةً لابْنِهِ . وَرَأيْتُ أنّني لَوْ لَبَّيْتُ طَلَبَهُ لانْتَقَلَتِ الأرْضُ الَّتي أمْلِكُها كُلُّها إلى أسْرَتِهِ ؛ لَكِنّي رَفَضْتُ ، وَلَيْسَ هَذا عَنِ اعْتِراضٍ عَلى الفَتى ، لَكِنَّني كُنْتُ أكْرَهُ والِدَهُ . وَلَمْ يَكُنْ بِمَقْدوري قَبولُ زَواجِ ابْنَتي بِوَلَدِهِ ، فَهَدَّدَني بِإبْلاغِ الشُّرْطَةِ ، وَأرْسَلَ إلَيَّ مُتَوَعِّداً بِأنَّها فُرْصَتي الأخيرَةُ ، ثُمَّ طَلَبَ مُقابَلَتي عِنْدَ البُحَيْرَةِ .

« عِنْدَما بَلَغْتُ البُحَيْرَةَ كانَ ماكارْثي يَتَحَدَّثُ إلى ابْنِه ، وَيَأْمُرُهُ بِالزَّواجِ بِابْنَتي ؛ فَأَحْسَسْتُ بِغَضَبٍ عارِمٍ . وَتَوارَيْتُ وراءَ شَجَرَةٍ ، وَقَدْ عَقَدْتُ العَزْمَ عَلى قَتْلِ ماكارْثي . وَحينَ غادَرَ ابْنُهُ ، حَمَلْتُ حَجَرًا كَبيرًا وَاتَّجَهْتُ نَحْوَهُ . كانَ ظَهْرُهُ إلَيَّ فَضَرَبْتُهُ عَلى رَأسِهِ ضَرْبًا شَديدًا ، أَطْلَقَ عَلى إثْرِها صَيْحَةً مُرَوِّعَةً ؛ فَهُرِعَ ابْنُهُ عائِدًا إلى المَكانِ ، وَفَرَرْتُ أنا صَوْبَ الغابَةِ ، لَكِنَّني تَذَكَّرْتُ أنّي نَسيتُ مِعْطَفي ؛ فَتَسَلَّلْتُ بِخِفَّةٍ وَالتَقَطْتُ المِعْطَفَ ، دونَ أَنْ يَلْحَظَني الفَتى . تِلْكَ هِيَ الحِكايَةُ بِرُمَّتِها ، يا سَيِّدُ هُولْمز .»

انْتَهى هُولْمز مِنْ كِتابَةِ آخِرِ كَلِمَةٍ ، ثُمَّ وَقَّعَ السَّيِّدُ تيرْنَر الوَرَقَةَ .

قالَ هُولْمز : « سَأَحْتَفِظُ بِها . رُبَّما تُطْلِقُ الشُّرْطَةُ سَراحَ الفَتى دونَ الحاجَةِ إلى هَذِهِ الوَرَقَةِ . وَأَنا بِدَوْري لَنْ أَبوحَ بِسِرِّكَ إذا هُمْ فَعَلوا ذَلِكَ .»

قالَ السَّيِّدُ تيرْنَر : « شُكْرًا لَكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز . لَقَدْ جَعَلْتَني أَحِسُّ بِالرّاحَةِ في أواخِرِ أَيّامي . وَداعًا .» وَغادَرَ الحُجْرَةَ في تُؤَدَةٍ .

تَوَجَّهَ هُولْمز إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِما عَثَرَ عَلَيْهِ قُرْبَ البُحَيْرَةِ ، فَأَفْرَجوا عَنِ الفَتى ماكارْثي . وَلَمْ يَعِشِ السَّيِّدُ تيرْنَر بَعْدَها سِوى سِتَّةِ أَشْهُرٍ . وَقَدْ تَمَّ زَواجُ جيمْس ماكارْثي بِالآنِسَةِ أليس تيرْنَر ، بَعْدَ ذَلِكَ بِعامٍ . وَلَمْ يَعْلَما قَطُّ بِحَقيقَةِ ما حَدَثَ .

العازِبُ النَّبيل

سَمِعَ النّاسُ جَميعاً بِخَبَرِ زَواجِ اللّورد سايْمون ، كَما سَمِعوا بِنِهايَتِهِ السَّريعَةِ المُفاجِئَةِ . حَدَثَ ذَلِكَ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَعْوامٍ ، وَكانَ صَديقي شِرْلوك هُولْمز هُوَ الَّذي حَقَّقَ هَذِهِ القَضِيَّةَ . وَلَمْ تُنْشَرِ القِصَّةُ كامِلَةً في الصَّحافَةِ اليَوْمِيَّةِ ؛ لِذا رَأَيْنا تَقْديمَها .

حَدَثَتْ هَذِهِ القِصَّةُ قَبْلَ زَواجِي بِأَسابيعَ قَليلَةٍ ، وَكُنْتُ حينَها لا أَزالُ أَقْطُنُ مَعَ هُولْمز في شارِعِ بيكَر ؛ فَفي عَصْرِ أَحَدِ الأَيّامِ وَصَلَتْهُ رِسالَةٌ .

قالَ هُولْمز بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ قِراءَتِها : « نَحْنُ الآنَ بِصَدَدِ قَضِيَّةٍ جَديدَةٍ . هَذِهِ الرِّسالَةُ مِنَ اللّورد سايْمون . سَأَقْرَؤُها عَلَيْكَ :

«‹‹ عَزيزي شِرْلوك هُولْمز ، لَقَدْ وَقَعْتُ في مُشْكِلَةٍ عَويصَةٍ ، وَنَصَحَني اللّورد باكووتر أَنْ أَعْرِضَها عَلَيْكَ . وَيَقولُ إِنَّكَ سَوْفَ تَمُدُّ

لي يَدَ العَوْنِ ؛ فَهَلْ أَسْتَطيعُ الحُضورَ لاسْتِشارَتِكَ ؟ سَتَكونُ عِنْدَ قُدومي قَدْ قَرَأْتَ عَنْ خَبَرِ زَواجي في الصُّحُفِ ، وَسَوْفَ تَعْلَمُ ما حَدَثَ . لَقَدْ شَرَعَ المُفَتِّشُ لِيسْتريد يَعْمَلُ في القَضِيَّةِ ، لَكِنَّني أَوَدُّ أَنْ تُسْهِمَ أَنْتَ فيها أَيْضاً . تَحَدَّثْتُ إلى المُفَتِّشِ لِيسْتريد في الأَمْرِ ، فَأَبْدى رَغْبَةً صادِقَةً في أَنْ تُساعِدَهُ . سَأَحْضُرُ إِلَيْكَ في الرّابِعَةِ مِنْ عَصْرِ اليَوْمِ . أَرْجو أَنْ تَكونَ في انْتِظاري ، فَالأَمْرُ مُهِمٌّ جِدًّا .

المُخْلِصُ

« روبرت سايْمون » .»

قُلْتُ : « إِنَّهُ قادِمٌ في الرّابِعَةِ ، أَيْ أَنَّهُ سَيَكونُ هُنا بَعْدَ ساعَةٍ .»

قالَ هُولْمز : « إِذاً سَيَكونُ لَدَيَّ مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ لِلإِطِّلاعِ عَلى القَضِيَّةِ مِنْ تَقاريرِ الصُّحُفِ . كَما أَنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَقْرَأَ شَيْئاً عَنِ اللورد سايْمون . تَسْتَطيعُ مُساعَدَتي في ذَلِكَ ، يا واطْسُن . لَقَدْ قَرَأْتَ الصُّحُفَ فَقُصَّ لي ما وَرَدَ فيها مِنْ تَقاريرَ حَوْلَ هَذا الزَّواجِ .»

تَناوَلَ هُولْمز كِتاباً أَحْمَرَ وَتَصَفَّحَهُ ثُمَّ قال : « ها هُوَ ذا روبرت سايْمون ، الابْنُ الثّاني لدوق بالمورال . وُلِدَ عامَ ١٨٤٦ . عُمْرُهُ الآنَ ٤١ سَنَةً . وَهَذِهِ سِنٌّ مُتَأَخِّرَةٌ بِالنِّسْبَةِ لإِنْسانٍ يَتَزَوَّجُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ . أَمّا الباقي فَلَيْسَ بِذي بالٍ . ماذا وَجَدْتَ في الصُّحُفِ ، يا واطْسُن ؟»

قُلْتُ : « وَجَدْتُ الكَثيرَ . لَقَدْ بَدأَتِ القِصَّةُ مُنْذُ أسابيعَ . تَقولُ التَّقاريرُ : سَوْفَ يَتزَوَّجُ اللورد سايمون في القَريبِ العاجِلِ . وَهُوَ الابْنُ الثّاني لِدوق بالمورال . وَعَروسُهُ هِيَ الآنِسَةُ هاتي دوران ابْنَةُ السَّيِّدِ ألويسيوس دوران مِنْ سان فرانْسيسْكو .»

قالَ هُولْمز : « تَقْريرٌ موجَزٌ ، لكِنَّهُ يُقَدِّمُ لَنا الوقائعَ .»

قُلْتُ : « ثَمَّةَ خَبَرٌ أكْثَرُ تَفْصيلاً بَعْدَ أَيّام قَلائِلَ ، وَهٰذا نَصُّهُ : ‹‹ عازِبٌ إنْجِليزِيٌّ نَبيلٌ آخَرُ سَوْفَ يَتزَوَّجُ فَتاةً أَمْريكِيَّةً . إِنَّهُ اللّورد سايْمون الَّذي يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ الحادِيَةَ وَالأَرْبَعينَ وَلا يَزالُ عَزَبًا . قَرَّرَ الزَّواجَ الآنَ وَقَدْ وَقَعَ اخْتِيارُهُ عَلى الآنِسَةِ هاتي موران ابْنَةِ المِلْيونيرِ ألويسيوس مِنْ كاليفورنيا . وَهِيَ مُقيمَةٌ في لندن مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ . إِنَّها الابْنَةُ الوَحيدَةُ لأبيها ، وَهِيَ امْرَأَةٌ جِدُّ ثَرِيَّةٍ . أَمّا والِدُ اللّورد سايْمون فَهُوَ الدّوق بِالمورال ، الَّذي اضْطُرَّ لِبَيْعِ لَوْحاتِهِ جَميعًا خِلالَ السَّنَواتِ القَليلَةِ الماضِيَةِ . وَابْنُهُ اللّورد سايْمون لَيْسَ رَجُلاً غَنِيًّا . وَهٰذا الزَّواجُ سَيَمْنَحُ السَّيِّدَةَ اسْمًا نَبيلاً ، وَفي المُقابِلِ سَيَجْلُبُ الكَثيرَ مِنَ المالِ إلى آلِ سايْمون ›› .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ ثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ ؟»

أَجَبْتُ : « أَجَلْ ، ثَمَّةَ الكَثيرُ . يَقولُ التَّقريرُ إنَّ الزَّواجَ سَيَتِمُّ في

هُدوءٍ ، وَسَتَقْتَصِرُ الدَّعْوَةُ عَلى القَليلِ مِنَ الأَصْدِقاءِ . سَوْفَ يُقيمُ اللّورد سايْمون مَعَ زَوْجَتِهِ في لانكاستر غيت ، حَيْثُ اشْتَرى لَهُما السَّيِّدُ دوران مَنْزِلاً .

« ثُمَّ ظَهَرَ بالأَمْسِ التَّقْريرُ التّالي : بَعْدَ العُرْسِ اخْتَفَتِ الآنِسَةُ دوران .»

سَأَلَ هُولْمز : « مَتى اخْتَفَتْ ؟»

أَجَبْتُ : « أَمْسِ . بَعْدَ العُرْسِ مُباشَرَةً .»

قالَ هُولْمز : « كَثيراً ما تَخْتَفي النِّساءُ قَبْلَ العُرْسِ ، وَأَحْياناً يَخْتَفينَ بَعْدَهُ بِأَيّامٍ قَليلَةٍ . لَكِنْ في اليَوْمِ ذاتِهِ ، فَذَلِكَ ما لَمْ أَسْمَعْ بِهِ مِنْ قَبْلُ .»

قُلْتُ : « ظَهَرَ هَذا التَّقْريرُ في صَحيفَةِ اليَوْمِ . وَقَرَأْتُ :

« اخْتِفاءُ اللّيدي سايْمون . اضْطِرابٌ في أُسْرَةِ اللّورد روبرت سايْمون . تَزَوَّجَ اللّورد سايْمون الآنِسَةَ هاتي دوران ، لَكِنْ شَيْئًا غَريباً حَدَثَ بَعْدَ العُرْسِ . إِلَيْكُمْ القِصَّةَ كامِلَةً : «« أُقيمَتْ حَفْلَةُ العُرْسِ وَلَمْ يُدْعَ إِلَيْها إِلّا القَليلونَ . وَتَوَجَّهوا بَعْدَ العُرْسِ إِلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ أَلويسيوس دوران في لانكاستر غيت ، حَيْثُ كانَتْ في انْتِظارِهِمْ مائِدَةٌ حافِلَةٌ .

« وَحاوَلَتِ امْرَأَةُ الدُّخولَ إلى المَنْزِلِ ؛ مِمّا سَبَّبَ بَعْضَ القَلاقِلِ . وَقَدِ ادَّعَتْ بِأَنَّ اللّوْرْد سايْمون صَديقُها ، وَ وَعَدَها بِالزَّواجِ . وَعِنْدَما لَمْ يُسْمَحْ لَها بِالدُّخولِ غادَرَتِ المكانَ .

« وَكانَتِ الآنِسَةُ دوران قَدْ سَبَقَتْها في الوُصولِ إلى المَنْزِلِ فَلَمْ تَرَها ، ثُمَّ جَلَسَتْ لِتَناوُلِ الطَّعامِ . وَفي أَثْناءِ تَناوُلِ الوَجْبَةِ نَهَضَتْ مُتَعَلِّلَةً بِأَنَّها لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ ، وَصَعِدَتْ إلى حُجْرَتِها .

« صَعِدَ أبوها إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ مِنَ المَنْزِلِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْها ، لَكِنَّها لَمْ تَكُنْ مَوْجودَةً ؛ لَقَدْ اخْتَفَتْ ابْنَتُهُ . وَتَقولُ إحْدى الفَتَياتِ العامِلاتِ في المَنْزِلِ بِأَنَّها رَأَتِ الآنِسَةَ دوران وَهِيَ تَضَعُ قُبَّعَتَها وَتَرْتَدي مِعْطَفَها ، ثُمَّ تَهْبِطُ إلى الطّابَقِ السُّفْلِيِّ مِنَ المَنْزِلِ .

« تَوَجَّهَ كُلٌّ مِنَ اللورْدِ سايْمون وَالسَّيِّدِ ألويسيوس دوران إلى الشُّرْطَةِ ، الَّتي تَتَوَلّى البَحْثَ عَنِ الآنِسَةِ دوران الآنَ . وَيَزْعُمُ بَعْضُ النّاسِ أَنَّها ماتَتْ . وَقَدِ اقْتيدَتْ إحْدى النِّساءِ إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ لِلتَّحْقيقِ .»

سأَلَ هُولْمز : « أ هَذا كُلُّ ما لَدَيْكَ ؟»

قُلْتُ : « لا ، ثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ في جَريدَةٍ أُخْرى . إلَيْكَ هَذا النَّبَأُ : ‹‹ الشُّرْطَةُ تُلْقي القَبْضَ عَلى الآنِسَةِ فلورا ميلار ، الَّتي كانَتْ سَبَباً

في إثارَةِ القَلاقِلِ عِنْدَ مَنْزِلِ السَّيِّدِ دوران . وَهِيَ تَعْمَلُ راقِصَةً في أليغرو ، وكانَتِ عَلى عَلاقَةٍ بِاللورد سايْمون مُنْذُ سِنينَ خَلَتْ .» .»

قالَ هُولمْز : « أَسْمَعُ جَرَسَ البابِ ، يا واطْسُن . لا بُدَّ أَنَّهُ اللّورد سايْمون .»

كانَ اللّورد سايْمون في الحادِيَةِ وَالأَرْبَعينَ مِنْ عُمْرِهِ ، لَكِنَّهُ بَدَا أَكْبَرَ مِنْ سِنِّهِ الحَقيقِيَّةِ ؛ إِذ كانَ شَعْرُهُ رَمادِيًّا ، وَكانَ مُنْحَنِيَ الظَّهْرِ.

بادَرَهُ هُولمْز : « تَفَضَّلْ بِالجُلوسِ ، سَيِّدي اللّورد . هَذا صَديقي الدُّكْتورُ واطْسُن . لَقَدْ قَرَأْنا عَنْ زِفافِكَ في الصُّحُفِ فَهَلْ ما وَرَدَ فيها مِنْ رُواياتٍ صَحيحٌ ؟»

قالَ اللّورد سايْمون : « أَجَلْ ، لكِنْ لَيْسَ لَدَى الصُّحُفِ الوَقائِعُ جَميعاً .»

قالَ هُولمْز : « إِذاً يَتَحَتَّمُ عَلَيَّ أَنْ أَسْأَلَكَ بَعْضَ الأَسْئِلَةِ .»

قالَ اللّورد : « عَلى الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ .»

سَأَلَ هُولمْز : « مَتى وَأَيْنَ قابَلْتَ الآنِسَةَ هاتي دوران ؟»

أَجابَ اللّورد : « في سان فرانْسيسْكو مُنْذُ عامٍ مَضى . كُنْتُ وَقْتَها أَتَنَقَّلُ في الوِلاياتِ المُتَّحِدَة .»

سَألَ هُولمز : « هَلْ عَرَضْتَ عَلَيْها الزَّواجَ وَقْتَها ؟»

أجابَ اللّورد : « لا . لكِنَّني أعْجِبْتُ بِها كَثيراً .»

قالَ هُولمز : « أبوها يَتَمتَّعُ بِالثَّراءِ .»

قالَ اللّورد : « بَلْ هُوَ أغْنى رَجُلٍ في سان فرانْسيسْكو .»

سَألَ هُولمْز : « كَيْفَ جمَعَ ثَرْوَتَهُ ؟»

أجابَ اللّورد : « مِنْ مَنْجَمِ ذَهَبٍ . مُنْذُ سِنينَ قَليلَةٍ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ شَيْئًا ، ثُمَّ عَثَرَ عَلى الذَّهَبِ . وَهُوَ الآنَ مِنْ أغْنى الأغْنِياءِ .»

قالَ هُولمْز : « أخْبِرْني عَنْ زَوْجَتِكَ .»

قالَ اللّورد : « كانَتْ في العِشْرينَ عِنْدَما عَثَرَ أبوها عَلى الذَّهَبِ . وَكانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَعيشُ في مُعَسْكَراتِ العامِلينَ بِمَناجِمِ الذَّهَبِ . وَكانَتِ الحَياةُ شاقَّةً بِالنِّسْبَةِ لَها ، وَلَمْ تُلْحَقْ بِمَدْرَسَةٍ . لَقَدْ كانَتْ جامِحَةً وَمُنْطَلِقَةً ، لكِنَّها ذات خُلُقٍ ، وَلَمْ تَقْتَرِفْ خَطَأً .»

سَألَ هُولمْز : « هَلْ لَدَيْكَ صورَةٌ لَها ؟»

قالَ اللورد وَهُوَ يُقَدِّمُ الصّورَةَ لِهُولمْز : « لَقَدْ أحْضَرْتُ هَذِهِ الصّورَةَ مَعي .» وَألْقَيْتُ وَهولْمز نَظْرَةً على الصّورَةِ . لَقَدْ كانَتْ هاتي دوران فائِقَةَ الحُسْنِ .

قالَ هُولمْز : « وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ جاءَتِ الصَّبِيَّةُ إلى لندن ، وَرَأَيْتَها

لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ .»

أجابَ اللّورد : « نَعَمْ . لَقَدْ وَقَعْتُ في حُبِّها ، وَنَحْنُ الآنَ مُتَزَوِّجانِ .»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ جَلَبَتْ لَكَ الكَثيرَ مِنَ المالِ .»

قالَ اللّورْد : « أَجَلْ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ سَتَحْتَفِظُ بِالمالِ ؟»

أجابَ اللّورد : « لا أَدْري . المالُ لَيْسَ مُهِما . أُريدُ زَوْجَتي .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ رَأَيْتَ الآنِسَةَ دوران قَبْلَ الزِّفافِ ؟»

أجابَ اللّورد : « أَجَلْ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَتْ سَعيدَةً ؟»

أجابَ اللّورد : « في غايَةِ السَّعادَةِ . تَحَدَّثَتْ عَنْ حَياتِنا مَعاً .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَتْ عَلى حالَتِها مِنَ السَّعادَةِ صَبيحَةَ يَوْمِ العُرْسِ ؟»

أجابَ اللّورد : « أَجَلْ . وَلَكِنَّها تَبَدَّلَتْ أَثْناءَ الزِّفافِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟»

أجابَ اللّورد : « كانَ أَمْراً غَيْرَ ذي بالٍ ؛ فَقَدْ أَسْقَطَتْ أَزْهارَها ، فَالْتَقَطَها أَحَدُ الرِّجالِ وَأَعادَها إِلَيْها . وَكانَتْ تَتَكَلَّمُ بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ ،



وَنَحْنُ في طَرِيقِنا إلى المَنْزِلِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ كانَ الرَّجُلُ الَّذي أعادَ إلَيْها الزُّهورَ مِنْ أصْدِقائِها ؟»

أجابَ اللّورد : « لا أظُنُّ ذَلِكَ .»

قالَ هُولْمز : « ماذا فَعَلَتْ بَعْدَ أنْ عُدْتُما إلى المَنْزِلِ ؟»

أجابَ اللّورْد : « تَحَدَّثَتْ إلى أليس .»

سَأَلَ هُولْمز : « مَنْ أليس ؟»

أجابَ اللّورْد : « فَتاةٌ تَعْمَلُ في خِدْمَةِ زَوْجَتي ، اصْطَحَبَتْها مَعَها مِنْ كاليفورنيا .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ هُما صَديقَتانِ حَميمَتانِ ؟»

أجابَ اللّورْد : « نَعَمْ . لَقَدْ كانَتا لا تَفْتَرِقانِ .»

سَأَلَ هُولْمز : « ماذا قالَتا ؟ هَلِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَسْمَعَ ؟»

أجابَ اللّورْد : « تَحَدَّثَتْ زَوْجَتي بِكَلامٍ مُبْهَمٍ عَنِ ادِّعاءٍ قانونيٍّ . إنَّها تَتَحَدَّثُ عَنْ أمورٍ غامِضَةٍ في بَعْضِ الأحْيانِ ، وَأحْيانًا لا أسْتَطيعُ فَهْمَ زَوْجَتي . ثُمَّ بَدَأنا في تَناوُلِ وَجْبَةِ الطَّعامِ . وَبَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ شَعَرَتْ أنَّها لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ ، وَخَرَجَتْ وَلَمْ تَعُدْ .»

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ رَآها أحَدٌ ؟»

أجابَ اللّورْد : « أجَلْ . لَقَدْ رَأتْها أليس . لَبِسَتْ زَوْجَتي مِعْطَفَها وَ وَضَعَتْ قُبَّعَتَها على رأسِها ، وَغادَرَتِ المَنْزِلَ . وَقَدْ رَآها أحَدُهُمْ في الحَديقَةِ العامَّةِ فيما بَعْدُ ، وَكانَتْ بِرِفْقَةِ فلورا ميلار المَرْأةِ الّتي كانَتْ قَدْ جاءَتْ إلى المَنْزِلِ .»

سَأَلَ هُولمز : « وَلَكِنَّ فلورا ميلار واحِدَةٌ مِنْ صَديقاتِكَ .»

أجابَ اللّورْد : « أجَلْ . كُنّا صَديقَيْنِ حَميمَيْنِ . كانَتْ تَرْقُصُ في الأليغرو ، وَكُنْتُ أحْسِنُ مُعامَلَتَها ، وَكَثيراً ما أغْدَقْتُ عَلَيْها المالَ .

« وَعِنْدَما سَمِعَتْ بِأنَّني سَأَتَزَوَّجُ ؛ غَضِبَتْ غَضَباً عارِماً . وَخَشيتُ أنْ تُثيرَ فَضيحَةً ؛ لِذا اقْتَصَرْتُ على دَعْوَةِ أقَلِّ القَليلِ مِنَ الأصْدِقاءِ . ثُمَّ حَضَرَتْ فلورا إلى المَنْزِلِ ، وَهَدَّدَتْ بِأنَّها سَتَقْتُلُ زَوْجَتي ؛ فَمَنَعْناها مِنْ دُخولِ المَنْزِلِ ، فَغادَرَتْهُ .»

سَأَلَ هُولمز : « هَلْ سَمِعَتْ زَوْجَتُكَ بِكُلِّ ما حَدَثَ ؟»

أجابَ اللّورْد : « لا . وَلَمْ تَعْرِفْ شَيْئاً عَنْهُ . لَقَدِ انْتَهى في غُضونِ ثَوانٍ قَليلَةٍ .»

قالَ هُولمز : « ثُمَّ شوهِدَتْ زَوْجَتُكَ في الحَديقَةِ العامَّةِ بِرُفْقَةِ فلورا ميلار ؟»

قالَ اللّورْد : « أجَلْ ، وَيَقولُ المُفَتِّشُ لِيسْترِيد إنَّ هَذِهِ نُقْطَةٌ في غايَةِ الأهَمِّيَّةِ ، إذْ لا بُدَّ أنْ فلورا تَعْرِفُ مَكانَ زَوْجَتي .»

قالَ هُولْمز : « هَذا جائِزٌ . ما رَأْيُكَ أنْتَ ؟»

أجابَ اللّورْد : « لا أظُنُّ أنَّ فلورا تُؤذيها .»

قالَ هُولْمز : « لَكِنَّها كانَتْ في سَوْرَةِ الغَضَبِ . وَمَنْ يَدْري ؛ فَلَعَلَّها هاجَمَتْ زَوْجَتَكَ ! لِماذا اخْتَفَتْ زَوْجَتُكَ ، أيُّها اللّورْد سايْمون ؟ هَلْ لَدَيْكَ أيَّةُ فِكْرَةٍ ؟»

أجابَ اللّورْد : « لَقَدْ تَزَوَّجَتْ في أسْرَةٍ نَبيلَةٍ ، الأمْرُ الَّذي جَعَلَها تَشْعُرُ بِأنَّ حَياتَها سَوْفَ تَتَبَدَّلُ . وَمَنْ يَدْري ؛ فَلَعَلَّها خَشِيَتْ مَغَبَّةَ ذَلِكَ .»

قالَ هُولْمز : « ذَلِكَ جائِزٌ أيْضاً . بَقِيَ لَدَيَّ سُؤالٌ واحِدٌ فَقَطْ : عِنْدَما كُنْتَ جالِساً مَعَ زَوْجَتِكَ إلى المائِدَةِ ، ماذا كانَ بِإمْكانِكَ أنْ تَرى عَبْرَ النّافِذَةِ ؟»

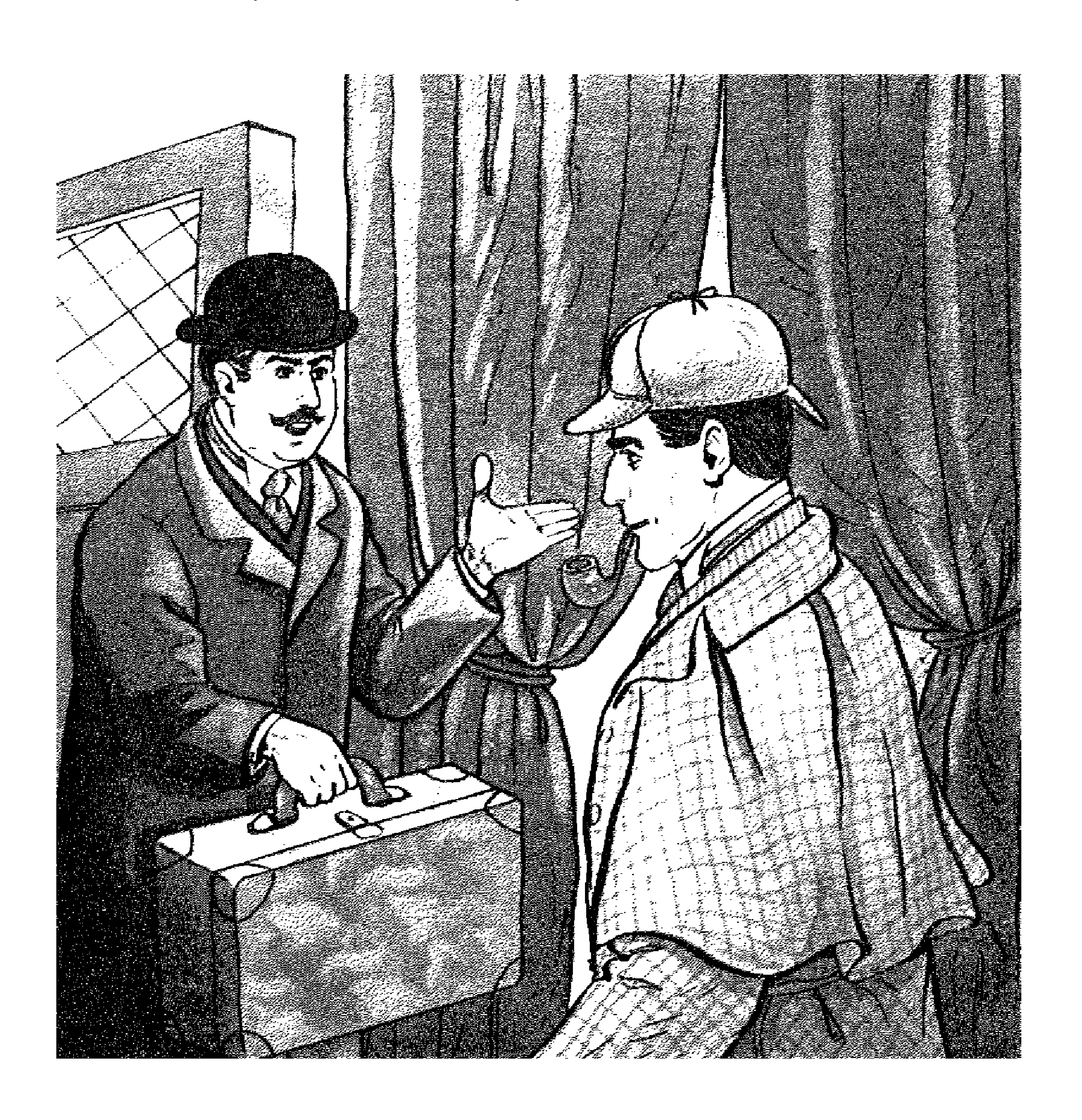
أجابَ اللّورْد : « الطَّريقَ المُواجِهَ لِلْمَنْزِلِ ، وَالحَديقَةَ العامَّةَ .»

قالَ هُولْمز : « أشْكُرُكَ . هَذا كُلُّ ما أحْتاجُ . انْتَظِرْ مِنّي عَمّا قَليلٍ بَعْضَ الأخْبارِ .»

خَرَجَ اللّورْد سايْمون ، وَبَعْدَها بِدَقائِقَ وَصَلَ الْمُفَتِّشُ لِيسْتْرِيد ، يَحْمِلُ حَقيبَةً وَضَعَها عَلى الأَرْضِ ، ثُمَّ تَناوَلَ فِنْجانَ شايٍ .

سَأَلَ هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟ إِنَّكَ لا تَبْدو عَلى ما يُرامُ !»

أَجابَ لِيسْتْرِيد : « هَذا صَحيحٌ . إِنَّني لَمْ أَعْثُرْ عَلى اللّيدي سايْمون بَعْدُ . لَقَدْ أَمْضَيْتُ سَحابَةَ يَوْمي ، وَأَنا أَعْمَلُ في هَذِهِ



القَضِيَّةِ دونَ جَدْوى .»

قالَ هُولْز : « وَأَراكَ مُبْتَلًّا !»

قالَ لِيسْتِريد : « أَجَلْ . لَقَدْ كُنَّا في الْمُنْتَزَه نُفَتِّشُ في الْبُحَيْرَةِ .»

سَأَلَ هُولْز : « عَمَّ كُنْتُمْ تَبْحَثونَ ؟»

قالَ لِيسْتِريد بِحُزْنٍ ظاهِرٍ : « عَنْ جُثَّةِ اللَّيدي سايْمون .»

قَهْقَهَ هُولْز بِصَوْتٍ عالٍ ، وَقالَ : « لَنْ تَجِدوها هُناكَ .»

أبدى لِيسْتِريد امْتِعاضَهَ قائِلاً : « وَتَعْرِفُ أَنْتَ أَيْنَ هِيَ ؟»

قالَ هُولْز : « لَيْسَتْ في الْبُحَيْرَةِ .»

قالَ لِيسْتِريد وَقَدْ راحَ يَفْتَحُ حَقيبَتَهُ ، وَيُخْرِجُ مِنْها ثَوْباً أَبْيَضَ ، وَزَوْجاً مِنَ الأَحْذِيَةِ البَيْضاءِ ، وَبَعْضَ الأَزْهارِ : « إذاً كَيْفَ تُفَسِّرُ هَذا ؟»

كانَتِ الأَشْياءُ الَّتي أَخْرَجَها لِيسْتِريد مُبَلَّلَةً ، وَ وَضَعَ خاتَماً ذَهَبِيا فَوْقَ الكَوْمَةِ ، وَأَرْدَفَ قائِلاً : « ما رَأْيُكَ فِيما تَرى ؟ لَقَدْ عَثَرْنا عَلى هَذِهِ الأَشْياءِ في الْبُحَيْرَةِ . إِنَّها مَلابِسُ اللَّيدي سايْمون ، وَمِنْ ثَمَّ فَلا بُدَّ أَنَّ جُثَّتَها مَوْجودَةٌ قُرْبَ الْبُحَيْرَةِ .»

قالَ هُولْز : « لا أَظُنُّ ذَلِكَ . إِنَّ ثِيابي في غُرْفَةِ النَّوْمِ ، لَكِنَّني

لَسْتُ قُرْبَها دائِماً . اسْتَمِرَّ في حَديثِكَ مِنْ فَضْلِكَ ، يا لِيسْترِيد .»

مَضى لِيسْترِيد يَقولُ : « أرى أنَّ فلورا ميلار قَدْ قَتَلَتِ اللّيدي سايْمون ؛ فَلَدَيَّ خِطابٌ كانَ في جَيْبِ الثَّوْبِ الأبْيَضِ ، مَكْتوبٌ فيهِ ‹‹ عِنْدَما تَرَيْنَني ، سَيَكونُ كُلُّ شَيْءٍ جاهِزاً . تَعالَيْ في الحالِ . ف. هـ. م. ›› إنَّ فلورا ميلار هِيَ الَّتي أَرْسَلَتْ هَذا الخِطابَ إلى اللّيدي سايْمون . وَذَهَبَتِ اللّيدي إلى المُنْتَزَهِ العامِّ ، فَقامَتْ فلورا ميلار بِقَتْلِها .»

قَهْقَهَ هُولْمز وَسَأَلَ : « هَلْ أَسْتَطيعُ رُؤْيَةَ الخِطابِ ، يا لِيسْترِيد ؟» ثُمَّ نَظَرَ إلَيْهِ وَأَرْدَفَ قائِلاً : « هَذا يُفيدُ القَضِيَّةَ .»

قالَ لِيسْترِيد : « إنَّكَ تَقْرَأُ الوَجْهَ الَّذي لا يَعْنينا مِنَ الخِطابِ . إنَّ الرِّسالَةَ عَلى الوَجْهِ الآخَرِ .»

قالَ هُولْمز : « لكِنَّ هَذا هُوَ الجُزْءُ الَّذي يُهِمُّني . إنَّهُ يَقولُ : ‹‹ أكتوبر (تشرين الأوَّل) غُرْفَةٌ ٨ شِلِنات ، إفْطارٌ ٣ شِلِنات ›› .»

قالَ لِيسْترِيد : « إنَّكَ تُضَيِّعُ وَقْتي سُدًى ! إلى اللِّقاءِ يا هُولْمز . سَوْفَ نَرى مَنِ الَّذي يَعْثُرُ أَوَّلاً عَلى اللّيدي سايْمون .» ثُمَّ جَمَعَ الثِّيابَ وَ وَضَعَها في الحَقيبَةِ .

قالَ هُولْمز : « إلَيْكَ هَذِهِ المُفاجَأَةَ ، يا لِيسْترِيد . لَيْسَ ثَمَّةَ امْرَأَةٌ

بِاسْمِ اللّيدي سايْمون . إنَّها إنْسانٌ غَيْرُ مَوْجودٍ عَلى الإطْلاقِ .»

قَهْقَهَ لِيسْتْرِيد ، وَهُوَ يُغادِرُ المَكانَ ، وَقالَ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ .»

وَما إنْ انْصَرَفَ لِيسْتْرِيد ، حَتّى ارْتَدى هُولْمز مِعْطَفَهُ قائِلاً : « عَلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ الآنَ . سَأَراكَ فيما بَعْدُ ، يا واطْسُن .»

غَادَرَ هُولْمز المَنْزِلَ في الخامِسَةِ مَساءً . وَفي السّاعَةِ السّادِسَةِ وَصَلَ إلى المَنْزِلِ رَجُلانِ يَحْمِلانِ عُلْبَةً كَبيرَةً ، تَبَيَّنَ لي أَنَّها تَحْوي طَعاماً وَشَراباً ، وَأَعِدَّتْ مائِدَةٌ لِخَمْسَةِ أَفْرادٍ ، وَصُفَّتْ أَطْباقُ الطَّعامِ وَكُئوسُ الشَّرابِ . وَقالَ الرَّجُلانِ إنَّ هُولْمز هُوَ الَّذي طَلَبَ إلَيْهِما إحْضارَ هَذِهِ الأَشْياءِ .

عادَ هُولْمز في التّاسِعَةِ مَساءً ، وَما إنْ رَأى المائِدَةَ حَتّى قالَ : « حَسَنٌ ، لَقَدْ أَحْضَروا الطَّعامَ .»

سَأَلْتُهُ : « مَنِ القادِمُ لِلْعَشاءِ ؟ لَقَدْ أُعِدَّتِ المائِدَةُ لِخَمْسَةِ أَفْرادٍ .»

قالَ هُولْمز : « أَجَلْ . إنَّ اللّورْد سايْمون وَآخَرِيْن قادِمونَ لِتَناوُلِ العَشاءِ مَعَنا . أَسْمَعُ الآنَ أَحَداً يَصْعَدُ الدَّرَجَ . لا بُدَّ أَنَّهُ اللّورْدُ سايْمون .»

كانَ القادِمُ – بِالفِعْلِ – هُوَ السَّيِّدَ النَّبيلَ اللّورْد سايْمون ، وَقَدْ بَدا شَديدَ الغَضَبِ .

بادَرَهُ هُولمْز بِقَوْلِهِ : « هَلْ تَلَقَّيْتَ رِسالَتي ، أَيُّها اللَّوْرْد سايْمون؟»

أجابَ اللَّورْد : « أجَلْ ، وَقَدْ أدْهَشَني مَضْمونُها . هَلْ أنْتَ موقِنٌ مِنَ الوَقائعِ الَّتي لَدَيْكَ ؟»

أجابَ هُولمْز : « أجَلْ ، تَمامَ اليَقين .»

جَلَسَ اللَّورْد سايْمون ، وَأَخْفى وَجْهَهُ بِكَفَّيْهِ وَهُوَ يَقولُ : « ماذا سَيَقولُ أبي ؟»

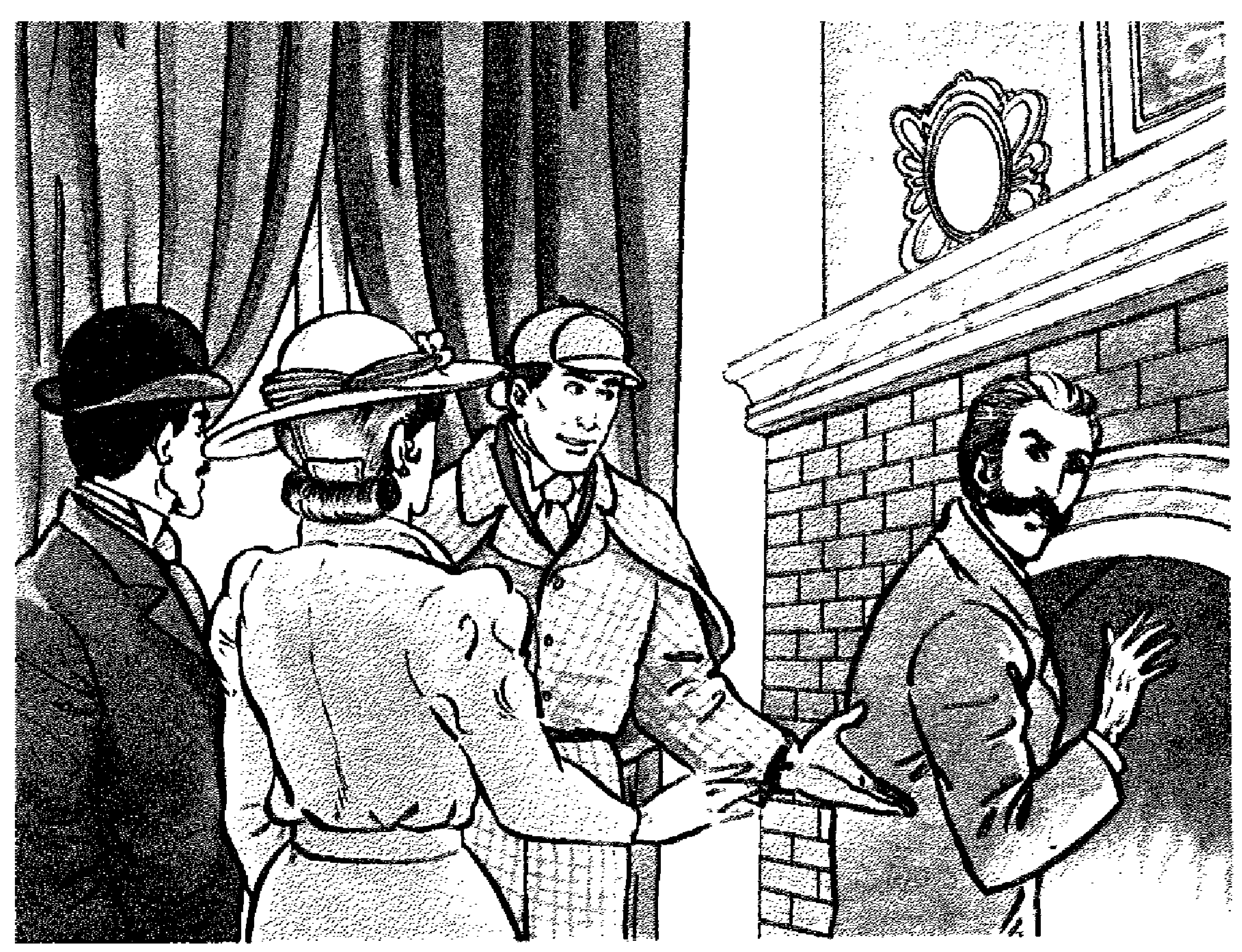
قالَ هُولمْز : « مُجَرَّدُ حادِثٍ . لا تَسْتَطيعُ أنْ تُنْحِيَ بِاللائِمَةِ عَلى أحَدٍ .»

قالَ اللَّورْد : « لَقَدْ جَلَبَتِ العارَ عَلى أسْرَتي .»

قالَ هُولمْز : « يَنْبَغي أنْ تُفَكِّرَ بِالفَتاةِ المِسْكينَةِ . لَمْ يَكُنْ ما حَدَثَ خَطيئَتَها .»

قالَ اللَّورْد : « لَنْ أغْفِرَ لَها أبَداً . لَقَدْ سَلَكَتْ مَسْلَكاً شائِناً .»

قُرِعَ جَرَسُ البابِ ، وَذَهَبَ هُولمْز ، ثُمَّ عادَ وَبِصُحْبَتِهِ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ. وَقالَ مُخاطِباً اللَّورْد سايْمون : « اسْمَحْ لي أنْ أقَدِّمَ لَكَ السَّيِّدَ فرانْك هاي مُولْتن ، يا صاحِبَ السَّعادَةِ . أمّا السَّيِّدَةُ زَوْجَتُهُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ أنِ الْتَقَيْتَها .»



قَفَزَ اللّورْد سايْمون عَنْ كُرْسِيِّهِ دَهِشاً ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ غَضَبٌ عارِمٌ. وَعِنْدَما مَدَّتِ السَّيِّدَةُ يَدَها إِلَيْهِ لِتُصافِحَهُ ، أَشاحَ بِوَجْهِهِ عَنْها .

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « هَلْ أَنْتَ غاضِبٌ مِنّي يا روبرت ؟ إِنَّني آسِفَةٌ حَقًّا !»

قالَ اللّورْد : « لا حاجَةَ بِكِ لِلأَسَفِ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ سَلَكْتُ مَسْلَكاً خاطِئًا ؛ لِكَوْني لَمْ أُوَضِّحْ لَكَ الأُمورَ . الواقِعُ أَنَّني عِنْدَما رَأَيْتُ فرانك في حَفْلِ الزِّفافِ ، طاشَ

صَوابي وَنَسيتُ كُلَّ ما عَداهُ .»

قالَ هُولمْز : « لَعَلَّ مِنْ واجِبي وَ واجِبِ واطْسُن أنْ نُغادِرَ المكانَ الآنَ .»

وَعِنْدَئذٍ أخَذَ فرانك لأوَّلِ مَرَّةٍ زِمامَ المُبادَرَةِ حينَ قالَ : « لا تُغادِرا المكانَ مِنْ فَضْلِكُما . أريدُ أنْ تَعْرِفوا جَميعاً القِصَّةَ كامِلَةً .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « أنا الَّتي سَأَرْوي القِصَّةَ لَكُمْ :

« لَقَدِ الْتَقَيْتُ وَفرانك في كاليفورنيا عامَ ١٨٨١ . كانَ أبي وَقْتَها يَجِدُّ في البَحْثِ عَنِ الذَّهَبِ في أرْض يَمْلِكُها . وَحَدَثَ أنْ قابَلْتُ فرانك هُناكَ ، وَعَزَمْنا على الزَّواجِ . ثُمَّ اكْتُشِفَ الذَّهَبُ في أرْض والِدي بِكَمِّيّاتٍ لاحَصْرَ لَها . وَكانَتْ لِفرانك أرْضٌ يُجْري البَحْثَ فيها عَنِ الذَّهَبِ أيْضاً ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَشِفْهُ في أرْضِهِ . وَغدا أبي ثَرِيا ، وَازْدادَ ثَراؤهُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، عَلى حينِ ظَلَّ فرانك فَقيراً ، وَازْدادَ فَقْرُهُ مَعَ الأيّامِ . ورَغْمَ ذَلِكَ كُنْتُ أرْغَبُ في الزَّواجِ بِهِ ، لَكِنَّ أبي أصَرَّ عَلى الرَّفْضِ ، وَانْتَقَلَ بي إلى سان فرانْسيسْكو . وَتَبِعَني فرانك إلى تِلْكَ المَدينَةِ ، وَكُنّا نَلْتَقي سِرا . ثُمَّ قَرَّرَ فرانك أنْ يُعاوِدَ البَحْثَ عَنِ الذَّهَبِ مِنْ جَديدٍ ، وَ وَعَدَني بِالعَوْدَةِ حينَ يُصْبِحُ ثَريا ، وَقَبْلَ أنْ يَرْحَلَ تَزَوَّجْنا في السِّرِّ .

« وَذَهَبَ فرانك إلى نيومكسيكو ، ثُمَّ رَأَيْتُ ذاتَ يَوْمٍ خَبَراً مَنْشوراً في صَحيفَةٍ يَذْكُرُ أَنَّ جَماعَةً مِنَ الهُنودِ الحُمْرِ قَدْ هاجَموا مَنْجَماً لِلذَّهَبِ في وِلايَةِ نيومكسيكو ، وَقَتَلوا كُلَّ مَنْ فيهِ مِنَ الرِّجالِ . واسْتَعْرَضَتِ الصَّحيفَةُ أَسْماءَ القَتْلى ، وَكانَ اسْمُ فرانك مِنْ بَيْنِهِمْ . وَأَلْزَمَني النَّبَأُ الفِراشَ شُهوراً طَويلَةً ؛ ثُمَّ حَدَثَ أَنِ الْتَقَيْتُ وَاللّورْد سايْمون في سان فرانْسيسْكو ، وَاصْطَحَبَني والِدي مَعَهُ إلى لندن مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَالْتَقَيْتُ فيها اللّورْد سايْمون مَرَّةً أُخْرى ، فَطَلَبَ مِنّي أَنْ أَتَزَوَّجَهُ فَقَبِلْتُ طَلَبَهُ . وَقَدْ سُرَّ والِدي بِذَلِكَ سُروراً عَظيماً . لَكِنَّني كُنْتُ لا أَزالُ عَلى حُبّي لِفرانك ، الَّذي ظَنَنْتُ أَنَّهُ ماتَ .

« وَفي يَوْمِ العُرْسِ فوجِئْتُ بِفرانك بَيْنَ الحُضورِ . وَعِنْدَما رَآني وَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلى شَفَتَيْهِ إِشارَةً لي بِأَنْ أَحْفَظَ السِّرَّ ، ثُمَّ كَتَبَ شَيْئاً عَلى قُصاصَةٍ مِنَ الوَرَقِ . لَمْ أَنْبِسْ أَنا بِدَوْري بِبِنْتِ شَفَةٍ ، وَانْتَهَتْ مَراسِمُ العُرْسِ ، وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ . وَبَيْنَما كُنْتُ أَمُرُّ مِنْ أَمامِ فرانك ، أَسْقَطْتُ عَنْ عَمْدٍ الأَزْهارَ الَّتي كانَتْ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَالْتَقَطَها فرانك وَأَعادَها إِلَيَّ ، وَمَعَها وَرَقَةٌ مَكْتوبَةٌ يَطْلُبُ فيها أَنْ أَلْحَقَ بِهِ فيما بَعْدُ . وَكانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْتَظِرَ مِنْهُ إِشارَةً ؛ فَأَنا لا أَزالُ زَوْجَتَهُ ، وَلا أَزالُ مُقيمَةً عَلى حُبِّهِ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَتْبَعَهُ .

« وعُدْنا إلى البيْتِ ، فحَدَّثْتُ أليس عَنْ فرانك ، وطَلَبْتُ منْها أنْ تُعِدَّ لي حَقيبةَ سفَرٍ ، وألا تُخْبِرَ أحداً عنْ ذلكَ . ولَمْ أسْتطعْ مُصارحةَ اللّورْد سايْمون بأنّني قدْ سبَقَ لِيَ الزَّواجُ ؛ فقَدْ كانَ ثمَّةَ حشْدٌ كبيرٌ مِنَ المَدْعُوّين . لِذا قرَّرْتُ أنْ أخْتفي .

« وجلسْنا إلى مائدةِ الطَّعامِ ، وجلسْتُ في مكانٍ يَسْمَحُ لي بمُراقبةِ الطَّريقِ والمُنْتزَهِ العامِّ ، ثُمَّ رأيْتُ فرانك ، الَّذي أشارَ إلى الحَديقةِ ، ثُمَّ دلَفَ إليْها . وغادرْتُ المائدَةَ إلى الطَّابقِ العُلْوِيِّ ، ولَبِسْتُ معْطفي ، ثُمَّ لحِقْتُ بفرانك . وحدَثَ أنِ اسْتوْقفَتْني امْرَأةٌ في المُنْتزَهِ ، وهاجمَتْني بقَوْلِها إنّني سلَبْتُها اللّورْد سايْمون . وعَلى ما يَبْدو فإنَّ لِسايْمون أيْضاً سِرَّهُ الخاصَّ بِهِ . وتَحاشَيْتُ المرْأةَ قَدْرَ اسْتطاعتي ، وهرَبْتُ منْ طَريقِها ، وبَحَثْتُ عنْ فرانك حتّى وجَدْتُهُ ، فأخذَني إلى ميْدانِ غوردُن ، حيْثُ كانَ يَسْتأجِرُ غُرْفَةً . وهُناكَ رَوى لي قِصَّتَهُ كامِلَةً : لَقَدْ أمْسَكَ بِهِ الهُنودُ الحُمْرُ وحَبَسوهُ سَنَةً كامِلَةً أوْ يَزيدُ ، ثُمَّ اسْتَطاعَ النَّجاةَ والسَّفَرَ إلى سان فرانْسيسْكو ، في وَقْتٍ كُنْتُ فيهِ قَدْ غادَرْتُها إلى إنْجِلْترا ؛ لِذا تَبِعَني فرانك وصادَفَ يَوْمُ وصولِهِ إلى لندن يَوْمَ زِفافي .

« وكانَ علَيْنا أنْ نُقرِّرَ ماذا سَنفْعَلُ . أرادَ فرانك إبْلاغَ اللّورْد سايْمون بِحَقيقَةِ الأمْرِ ، لكِنّني فَضَّلْتُ الاخْتِفاءَ عَنْهُ ، عَلى أنْ

أخْبِرَ والِدي فيما بَعْدُ . وَأخَذَ فرانك ثَوْبَ الزِّفافِ الأبْيَضَ وَالحِذاءَ وَخاتَمَ الخُطوبَةِ ، وَألقاها جَميعاً في بُحَيْرَةٍ في المُنْتَزَهِ العامِّ . وَكُنّا سَنُغادِرُ البِلادَ في اليَوْمِ التّالي ، وَلَكِنَّنا صادَفْنا السَّيِّدَ هُولمز الّذي نَصَحَنا بِأنْ نُخْبِرَ اللّورْد سايْمون . تِلْكَ ، يا روبرت ، هِيَ القِصَّةُ كامِلَةً . فَهَلْ لَكَ أنْ تُسامِحَني ؟» وَمَدَّتِ السَّيِّدَةُ نَحْوَ اللّورْد يَدَها لِتُصافِحَهُ .

قالَ اللّورْد : « إنْ كانَ يُسْعِدُكِ أنْ أصْفَحَ عَنْكِ ، فَإنَّني أفْعَلُ .» ثُمَّ تَناوَلَ يَدَها مُصافِحاً .

قالَ هُولمز : « وَالآنَ ، ما رَأْيُكُمْ جَميعاً أنْ تُشارِكوني تَناوُلَ العَشاءِ ؟»

قالَ اللّورْد : « إنَّكَ تَطْلُبُ مِنّي أكْثَرَ مِمّا أحْتَمِلُ . أتَمَنّى لَكُمْ جَميعاً لَيْلَةً سَعيدَةً .» وَغادَرَ الغُرْفَةَ على عَجَلٍ .

قالَ هُولمز : « سَتَتَناوَلانِ العَشاءَ مَعي ، ألَيْسَ كَذَلِكَ يا مولْتن؟»

وَقَبِلَ الزَّوْجانِ دَعْوَةَ هُولمز .

وَعِنْدَما انْصَرَفَ الأمْريكِيُّ وَزَوْجَتُهُ ، قُلْتُ لِهُولمز : « أوْضِحْ مِنْ فَضْلِكَ . كَيْفَ عَرَفْتَ بِنَبَأ هاتي موران ؟»

قالَ هُولمز : « كانَتْ هاتي سَعيدَةً قَبْلَ الزِّفافِ ، وَعادَتْ إلى

المَنْزِلِ وَهِيَ شَديدَةُ التَّعاسَةِ . لا بُدَّ أَنْ ثَمَّةَ شَيْئًا قَدْ حَدَثَ قَبْلَ العَوْدَةِ إلى المَنْزِلِ . تَسْأَلُني ما هُوَ ؟ لَقَدْ ذَكَرَ اللّورْد سايْمون شَيْئًا عَنْ رَجُلٍ كانَ قَدْ رَآهُ في حَفْلِ الزِّفافِ . وَقَدْ أَسْقَطَتِ السَّيِّدَةُ الأَزْهارَ الَّتي كانَتْ بيْنَ يَدَيْها ، فَالْتَقَطَها ذَلِكَ الرَّجُلُ وَأَعادَها إِلَيْها . إذاً كانَ بِإِمْكانِهِ أَنْ يُناوِلَها الوَرَقَةَ المَكْتوبَةَ . وَحينَ عادَتْ إلى المَنْزِلِ تَحَدَّثَتْ إلى أَليس . وَسَمِعَ اللّورْد سايْمون شَيْئًا عَنِ ادِّعاءٍ قانونِيٍّ ، وَالأَمريكِيّونَ عِنْدَما يُطْلِقونَ هَذا التَّعْبيرَ ، فَإِنَّهُمْ يَقْصِدونَ سَلْبَ شَيْءٍ ما مِنْ أَحَدٍ ما . عَلى سَبيلِ المِثالِ ، سايْمون يَأْخُذُ هاتي مِنْ فرانك ، وَقَدْ هَرَبَتْ هِيَ مَعَ مَنْ تُحِبُّ .»

سَأَلْتُهُ : « لكِنْ كَيْفَ عَثَرْتَ عَلَيْها ؟»

قالَ : « أَطْلَعَني لِيسْتْرِيد عَلى رِسالَةٍ كُتِبَتْ عَلى ظَهْرِها هَذِهِ المُلاحَظاتُ : «« الغُرْفَةُ ٨ شِلِنات، الإِفْطارُ ٣ شلنات .»» إذاً فَقَدْ نَزَلَ الرَّجُلُ في واحِدٍ مِنْ أَفْضَلِ فَنادِقِ لندن . وَكَما تَعْرِفُ فَإِنَّ عَدَدَ الفَنادِقِ الَّتي تَتَقاضى مِثْلَ هَذِهِ الأُجورِ مِنْ نُزَلائِها جِدُّ قَليلٍ .

وَمَصْدَرُ الرِّسالَةِ هُوَ ف. هـ. م. ؛ لِذا قُمْتُ بِزِياراتٍ سَريعَةٍ لِبَعْضِ تِلْكَ الفَنادِقِ ، وَنَظَرْتُ في سِجِلاتِ نُزَلائِها . وَلَمْ يَطُلْ بَحْثي حَتّى وَجَدْتُ اسْمَ فرانك هـ. مولْتن ، وَهُوَ رَجُلٌ أَمْريكِيٌّ . وَقَدْ غادَرَ الفُنْدُقَ قَبْلَ يَوْمٍ واحِدٍ فَقَطْ ، وَيُحَوِّلُ الفُنْدُقُ رَسائِلَهُ إلى مَكانِ إِقامَتِهِ

الحديدِ في ٢٢٦ مَيْدانُ غوردُن . وَتَوَجَّهْتُ إلى ذَلِكَ المَكانِ فَوَجَدْتُ
وَالِدَك هـ. مولْتُن فيهِ ، وَبِالطَّبْعِ كانَتْ هاتي دوران مَعَهُ .
وَنَصَحْتُهُما بِأَنْ يُقابِلا اللَّورْد سايْمون هُنا في مَنْزِلي ، كَما طَلَبْتُ
إلى اللَّورْد أَنْ يَحْضُرَ هُوَ الآخَرُ . وَكانَتِ النَّتيجَةُ ما رَأَيْتَ
وَسَمِعْتَ .»

قُلْتُ : « لَمْ تَكُنِ النَّتيجَةُ كُلُّها طَيِّبَةً ؛ إذ كانَ سُلوكُ اللَّورْد
سايْمون سُلوكاً غَيْرَ لائِقٍ .»

قالَ هُولْمز : « لا تَتَسَرَّعْ ، يا واطْسُن ! ضَعْ نَفْسَكَ مَكانَهُ ؛ لَقَدْ
خَسِرَ زَوْجَةً غايَةً في الحُسْنِ ، كَما خَسِرَ ثَرْوَةً طائِلَةً . وَلَوْ كُنْتَ
مَكانَهُ لَما كانَ تَصَرُّفُكَ أَكْثَرَ لِياقَةً مِنْهُ .»

أشْجارُ الزّان النُّحاسِيَّة

ذاتَ صباحٍ في الرَّبيعِ الماضي ، قُمْتُ بزِيارَةٍ لِصَديقي شرْلوك هُولمْز . وَبَيْنَما كُنّا نَتناوَلُ القَهْوَةَ ، وَصَلَتْ إلى مَنْزِلِه إحْدى الزّائِراتِ ، وَكانَتْ فَتاةً في غايَةِ الحُسْن ، تُدْعى الآنِسَةَ ڤيولِيت هَنْتَر .

بادَرَتْ قائِلَةً : « أسْتَميحُكَ عُذْراً ، يا سَيِّدُ هُولمْز ، فَإنَّني أعْلَمُ أنَّكَ رَجُلٌ كَثيرُ الأعْباءِ ، لكِنَّ أمْرًا غَريباً حَدَثَ ألْجَأني إلَيْكَ طَلَباً لِلنَّصيحَةِ . »

قالَ هُولمْز : « تَفَضَّلي بِالجُلوس . إنَّهُ لَيُسْعِدُني أنْ أمُدَّ لَكِ يَدَ العَوْنِ . ماذا يُمكِنُني أنْ أفْعَلَ لَكِ ؟» وَكانَ واضِحاً أنَّ الزّائِرَةَ قَدْ نَزَلَتْ مِنْ قَلْبِ هُولمْز مَنْزِلاً حَسَناً .

قالَتْ : « كُنْتُ أعْمَلُ بِالتَّدْريس خِلالَ السَّنَواتِ الخَمْس الماضِيَةِ

لَدي الكولونيل مونْرو ؛ أعَلِّمُ أوْلادَهُ . لكِنَّه غادَرَ البِلادَ هُوَ وأوْلادُهُ مُنْذُ شَهْرَيْن ؛ فَصِرْتُ بِدونِ عَمَلٍ . وَبَحَثْتُ عَنْ مَكَانٍ جَديدٍ أعْمَلُ فيهِ ، لَكِنْ دونَ جَدْوى . وَرُحْتُ أتَرَدَّدُ على مَكْتَبٍ لِتَشْغيل المُعَلِّمينَ ، تُديرُهُ في لندن امْرَأةٌ تُدْعى الآنِسَةَ ستوير . وَكُنْتُ أذْهَبُ إلى ذَلِكَ المَكْتَبِ مَرَّةً كُلَّ أسْبوعٍ دونَ أنْ أحْظى بِما أريدُ ، إلى أنْ كانَ الأسْبوعُ الماضي .

« وَحَدَثَ أنْ كانَ عِنْدَها يَوْمَ زُرْتُها رَجُلٌ بَدينٌ ، أخَذَ يُحَدِّقُ إليَّ بِإمْعانٍ ثُمَّ الْتَفَتَ إلى الآنِسَةِ ستوير وَقالَ : « هَذِهِ الفَتاةُ مُناسِبَةٌ تَماماً .» ثُمَّ سَألَني : « هَلْ تَبْحَثينَ عَنْ عَمَلٍ ؟»

« أجَبْتُ : « أجَلْ .»

« سَألَ : «كَمْ تَطْلُبينَ ؟»

« قُلْتُ : « كُنْتُ أتَقاضى أرْبَعَةَ جُنَيْهاتٍ شَهْرِيًّا مِنْ آخِرِ عَمَلٍ قُمْتُ بِهِ .»

« قالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ بِالكَثيرِ . سَأدْفَعُ لَكِ مِئَةَ جُنَيْهٍ سَنَوِيًّا لِقاءَ تَعْليمِ وَلَدي .»

« لَمْ أكَنْ أمْلِكُ ، يا سَيِّدُ هُولمْز ، مِنَ المالِ ما يُقيمُ أوَدي ، وَها هُوَ ذا رَجُلٌ يَعْرِضُ عَلَيَّ مِئَةَ جُنَيْهٍ سَنَوِيًّا . إنَّهُ عَرْضٌ سَخِيٌّ دونَ

رَيْبٍ . وَلاحَظَ الرَّجُلُ دَهْشَتي فَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ بَعْضَ الأَوْراقِ النَّقْدِيَّةِ قائِلاً : « هاكِ خَمسينَ جُنَيْهاً ، قَدْ تَحْتاجينَ إِلَيْها لِشِراءِ بَعْضِ المَلابِسِ .»

« كانَ مَظْهَرُ الرَّجُلِ يَدُلُّ عَلى حُسْنِ خُلُقٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ حَتّى ما يَسُدُّ رَمَقي . لكِنّي تَساءَلْتُ : لِماذا يَدْفَعُ لي بِهَذا السَّخاءِ؟ وَقَرَّرْتُ أَنْ أَسْتَفْسِرَ عَنْ بَعْضِ الأَشْياءِ ، فَسَأَلْتُهُ : « أَيْنَ تَقْطُنُ ، يا سَيِّدي ؟»

« أَجابَ : « في مَنْزِلٍ يُدْعى (أَشْجارُ الزّانِ النُّحاسِيَّةُ) وَيَقَعُ عَلى بُعْدِ ثَماني كيلومِتْراتٍ مِنْ وينشستر .»

« سَأَلْتُ : « ما طَبيعَةُ العَمَلِ الَّذي سَأَقومُ بِهِ ؟»

« أَجابَ : « لِيَ ابْنٌ في السّادِسَةِ ، أُريدُكَ أَنْ تُعْنَيْ بِهِ وَتَعَلِّميهِ . وَقَدْ تَطْلُبُ مِنْكِ زَوْجَتي بَعْضَ الأُمورِ اليَسيرَةِ ، مِنْها أَنَّها قَدْ تُقَدِّمُ لَكِ في بَعْضِ الأَحْيانِ ثَوْباً تَطْلُبُ مِنْكِ ارْتِداءَهُ ، فَهَلْ تَفْعَلينَ ؟»

« قُلْتُ : « بِالتَّأْكيدِ .»

« قالَ : « وَتَطْلُبُ مِنْكِ أَحْياناً أَنْ تَجْلِسي عِنْدَ الشُّرْفَةِ ، فَهَلْ تُلَبّينَ ذَلِكَ أَيْضاً ؟»

« أَجَبْتُ : « أَجَلْ .»

« قالَ : « سَوْفَ يَكونُ عَلَيْكِ أنْ تُقَصِّري شَعْرَكِ .»

أرْدَفَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر تُخاطِبُ هُولْمز : « أنْتَ تَرى أنَّ شَعْرِيَ طَويلٌ ، وَأنا لا أرْغَبُ في تَقْصيرِهِ ؛ لِذا أجَبْتُ الرَّجُلَ قائِلَةً : « يُؤسِفُني ألا أسْتَطيعَ ؛ فَأنا لا أحِبُّ الشَّعْرَ القَصيرَ .»

« قالَ الرَّجُلُ : « لكِنَّ زَوْجَتي لا تُحِبُّ الشَّعْرَ الطَّويلَ . لا بُدَّ أنْ تُقَصِّريهِ .»

« أجَبْتُ : « لا ، لَنْ أفْعَلَ ، يا سَيِّدي .»

« قالَ : « إذاً ، لَنْ أتَمَكَّنَ مِنْ إسْنادِ العَمَلِ إلَيْكِ . إنَّني جِدُّ آسِفٍ .»

« وَاسْتَدارَ نَحْوَ الآنِسَةِ ستوبر قائِلاً : « لَعَلَّ مِنَ الأفْضَلِ أنْ نَرى غَيْرَها مِنَ الفَتَياتِ .»

« وَحَدَجَتْني الآنِسَةُ ستوبر بِنَظْرَةٍ غاضِبَةٍ وَسَألَتْني : « هَلْ تُفَضِّلينَ البَقاءَ في سِجِلّاتي إنْساناً بِلا عَمَلٍ ؟»

« قُلْتُ : « لا ، بِالطَّبْعِ .»

« قالَتْ : « إذاً ، لِماذا تَرْفُضينَ عَرْضاً سَخِيًّا كَهَذا ؟ وَداعاً ، يا آنِسَةُ .»

« وَعُدْتُ إلى المَنْزِلِ دونَ طَعامٍ ، وَدونَ نُقودٍ . تُرى هَل ارْتَكَبْتُ خطأً بِرَفْضِ هذا العَرْضِ ، ياسَيِّدي ؟ لَقَدْ بَدا لي هَذا الرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ غَيْرَ طَبيعيَّيْنِ في طَلَبِهِما ، رَغْمَ كَوْنِهِما سَيَدْفَعانِ لي مَبْلَغاً كَبيراً حَقًّا . وَلكِنْ ما فائِدَةُ شَعْري الطَّويلِ ؟ إنَّهُ لَنْ يَشْتَرِيَ لي طَعاماً ! مَنْ يَدْري ؛ لَعَلّي ارْتَكَبْتُ خَطأً فادِحاً . وَفي اليَوْمِ التّالي وَصَلَتْني مِنَ الرَّجُلِ الرِّسالَةُ التّالِيَةُ :

« أشْجارُ الزّانِ النُّحاسِيَّةُ ، بِالقُرْبِ مِنْ وينشستر .

الآنِسَةُ العَزيزَةُ هنْتَر ، أعْطَتْني الآنِسَةُ ستوبر عُنْوانَكِ . العَمَلُ لا يَزالُ شاغِراً . أما زِلْتِ تَوَدّينَ القِيامَ بِهِ ؟ سَأَدْفَعُ لَكِ مِئَةً وَعِشْرينَ جُنَيْهاً سَنَوِيًّا ، وَهُوَ لَيْسَ عَمَلاً شاقًّا . أحْياناً سَتَطْلُبُ مِنْكِ زَوْجَتي ارْتِداءَ ثَوْبٍ أزْرَقَ لِبَعْضِ الوَقْتِ . كانَ الثَّوْبُ – ذاتَ يَوْمٍ – لابْنَتِنا أليس . إنَّها الآنَ تَعيشُ في أمْريكا . سَوْفَ تَطْلُبُ مِنْكِ زَوْجَتي أيْضاً الجُلوسَ في الشُّرْفَةِ . وَكَما تَرَيْنَ لَيْسَ ذَلِكَ بِالعَمَلِ الصَّعْبِ . لكِنْ لا بُدَّ مِنْ أنْ تُقَصِّري شَعْرَكِ . أنا أعْلَمُ أنَّكِ تَوَدّينَ الإبْقاءَ عَلَيْهِ طَويلاً ؛ لِذا فَأنا أدْفَعُ لَكِ هَذِهِ الزِّيادَةَ مُقابِلَ ذَلِكَ . أرْجو أنْ تَقْبَلي العَمَلَ لَدَيْنا . سَوْفَ أنْتَظِرُكِ عِنْدَ مَحَطَّةِ وينشستر . اكْتُبي وَأعْلِميني عَنْ مَوْعِدِ وُصولِ قِطارِكِ .

المُخْلِصُ

« جفرو روكاسل »

« تِلْكَ ، يا سَيِّدي ، هِيَ الرِّسالَةُ . إنَّ بي رَغْبَةً في قَبولِ هَذا العَمَلِ ، وَأَريدُ نَصيحَتَكَ .»

قالَ هُولْمز : « حَسَنٌ ، ما دُمْتِ تَرْغَبينَ في العَمَلِ فَإنَّ عَلَيْكِ أنْ تَتَّخِذي قَرارَكِ بِنَفْسِكِ . وَلَوْ كُنْتِ شَقيقَتي لَما نَصَحْتُكِ بِقَبولِه . لَكِنَّكِ لَسْتِ بِأُخْتي عَلى أَيَّةِ حالٍ . ما رَأْيُكِ أَنْتِ في السَّيِّدِ روكاسل وَزَوْجَتِه ؟»

رَدَّتِ الآنِسَةُ : « روكاسل رَجُلٌ عَطوفٌ عَلى ما يَبْدو . لَكِنْ يَبْدو أَنَّ زَوْجَتَهُ لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ .»

قالَ هُولْمز : « رُبَّما تَكونينَ عَلى صَوابٍ . لَكِنَّ هَذا العَمَلَ لا يُناسِبُ فَتاةً في مِثْلِ سِنِّكِ .»

قالَتْ : « لَكِنَّهُمْ سَيَدْفَعونَ لي أَجْرًا سَخِيًّا ، يا سَيِّدُ هُولْمز .»

قالَ هُولْمز : « إنَّ ما سَيَدْفَعونَهُ أَكْثَرُ مِمّا يَنْبَغي ؛ فَلِمَ يَدْفَعونَ مِئَةً وَعِشْرينَ جُنَيْهًا في العامِ ؟ بِإمْكانِهِمْ أَنْ يَجِدُوا مَنْ يَقومُ بِالعَمَلِ لِقاءَ أَرْبَعينَ جُنَيْهًا . لا بُدَّ أَنَّ في الأَمْرِ سِرًّا يَدْفَعُهُمْ إلى ذَلِكَ .»

قالَتِ الآنِسَةُ : « لَكِنَّني – رَغْمَ ذَلِكَ – راغِبَةٌ في العَمَلِ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولْمز : « ما دامَ الأَمْرُ كَذَلِكِ فَأَنْتِ وَشَأْنُكِ . وَإذا وَجَدْتِ

نَفْسَكُ – ذاتَ يَوْمٍ – في خَطَرٍ ...»

قاطَعَتْهُ الفَتاةُ بِدَهْشَةٍ : « في خَطَرٍ ؟ هَلْ سَيَكونُ في العَمَلِ خُطورَةٌ ؟»

قالَ هُولْمز : « لا أدْري . لكِنَّني سَأكونُ في خِدْمَتِكِ في أيِّ وَقْتٍ تَسْتَدْعينَني فيهِ . أبْرِقي إليَّ عِنْدَما تَحْتاجينَ إلى مُساعَدَتي .»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « أشكُرُ لكَ حُسْنَ تَعاطُفِكَ مَعي ، وَأشْعُرُ بِأنَّني الآنَ أسْعَدُ حالاً مِنْ ذي قَبْلٍ . سَأكْتُبُ إلى السَّيِّدِ رُوكاسل في الحالِ وَسَأقُصُّ شَعْري اللَّيْلَةَ .» وَوَدَّعَتْنا وانْصَرَفَتْ .

قُلْتُ : « يا لَها مِنْ فَتاةٍ لَطيفَةٍ !»

قالَ هُولْمز : « هَذا صَحيحٌ ، وَسَوْفَ نَراها ثانِيَةً في القَريبِ العاجِلِ .»

وَبَعْدَ أسْبوعَيْنِ أراني هُولْمز بَرْقِيَّةً وَصَلَتْهُ لِتَوِّها مِنْ وينشستر ، هَذا نَصُّها :

« أرْجو أنْ تَحْضُرَ ظُهْرَ الغَدِ إلى فُنْدُقِ سوان في وينشستر ؛ فَالأمْرُ جِدُّ مُهِمٍّ .»

« ڤيوليت هَنْتَر »

سَأَلَني هُولْمز : « هَلْ تُرافِقُني ، يا واطْسُن ؟»

أجَبْتُ : « طَبْعًا .»

قالَ هُولْمز : « ثَمَّ قِطارٌ في التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ ، وَهُوَ يَصِلُ وينشستر في الحادِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ .»

وَفي اليَوْمِ التَّالي وَصَلْنا وينشستر ، وَتَوَجَّهْنا إلى فُنْدُقِ سوان . وَكانَتِ الآنِسَةُ هنْتَر بانْتِظارِنا هُناكَ ، وَقَدْ طَلَبَتْ لَنا وَجْبَةَ غَداءٍ ، فَجَلَسْنا لِتَناوُلِها .

قالَتْ : « يَسُرُّني أنْ أراكُما ؛ فَأنا لا أدْري ما أفْعَلُ ! أُريدُ نَصيحَتَكُما .»

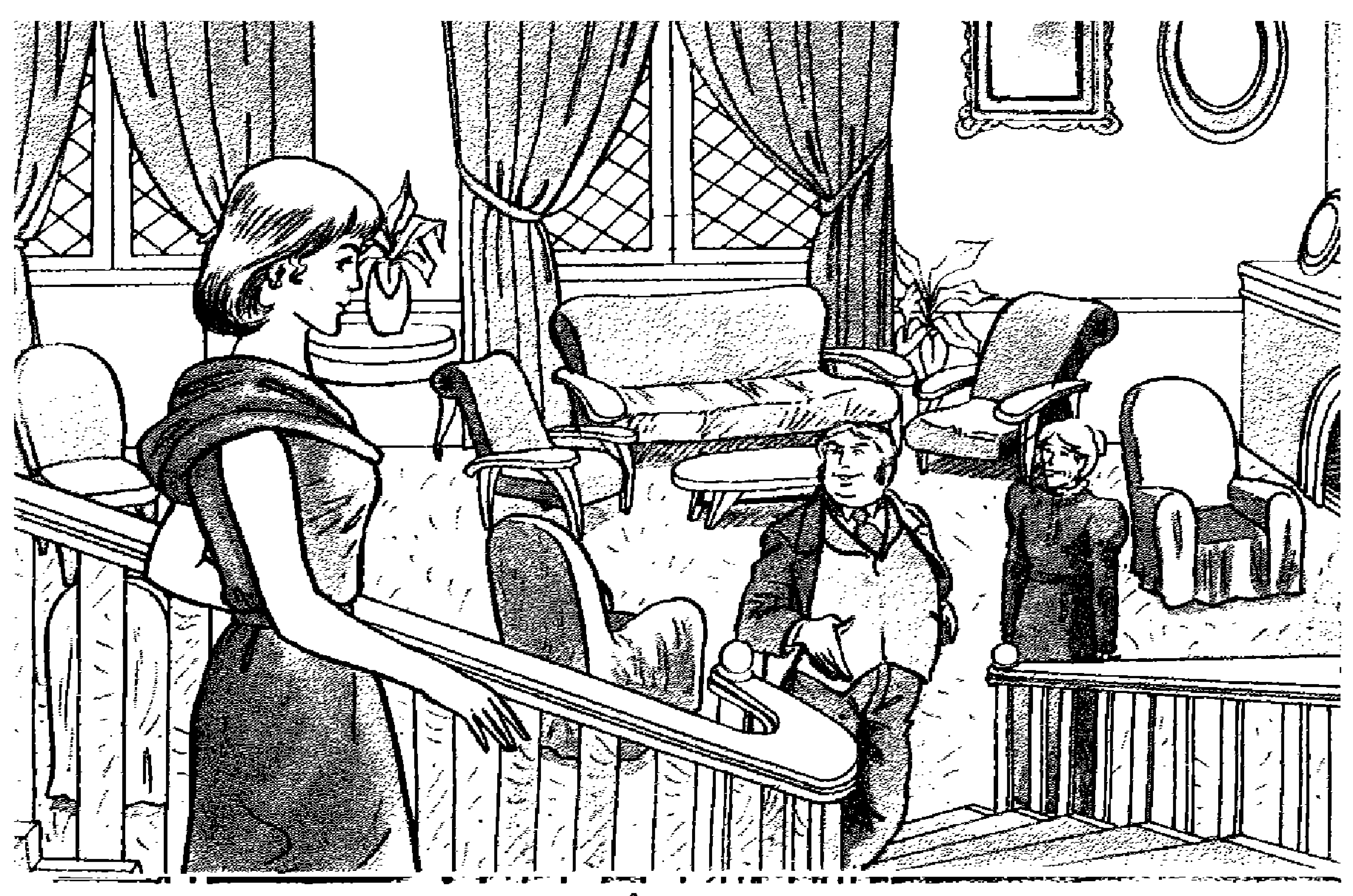
سَأَلَها هُولْمز : « ماذا حَدَثَ ؟»

قالَتْ : « عَلَيَّ أنْ أُسْرِعَ في الحَديثِ ، فَيَجِبُ أنْ أعودَ قَبْلَ الثَّالِثَةِ . إنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلوا ما يَريبُ ، وَهُمْ لَيْسوا قُساةً . إنَّ الأمْرَ خِلافُ ذَلِكَ . لَكِنَّني خائِفَةٌ ، خائِفَةٌ جِدًّا . عِنْدَما وَصَلْتُ اسْتَقْبَلَني السَّيِّدُ روكاسل . وَمَضَيْنا بِسَيّارَتِهِ إلى مَنْزِلِهِ (أشْجارُ الزّانِ النُّحاسِيَّةُ) إنَّهُ مَنْزِلٌ كَبيرٌ مُرَبَّعُ الشَّكْلِ ، أمامَهُ حَقْلٌ يَصِلُ إلى طَريق ساوثهامپتون . وَالمَسافَةُ بَيْنَ المَنْزِلِ وَطَريقِ ساوثهامپتون ثَمانُونَ مِتْرًا . وَكانَ هُناكَ بَعْضُ أشْجارِ الزّانِ النُّحاسِيَّةِ اللَّوْنِ أمامَ المَنْزِلِ اكْتَسَبَ

منْها المَنْزِلُ اسْمَهُ . وَكانَ السَّيِّدُ روكاسل بالغَ اللُّطْفِ مَعي ، وَقَدِ الْتَقَيْتُ وَزَوْجَتَهُ وَابْنَهُ . وَهِيَ لَيْسَتْ مَريضَةً كَما ظَنَنْتُ . إنَّها امْرَأَةٌ هادئَةٌ تماماً ، مضى على زَواجِها بِالسَّيِّدِ روكاسل سَبْعُ سَنواتٍ تقْريباً . إنَّهُ زَواجُهُ الثّاني . وَلِلسَّيِّدِ روكاسل ابْنَةٌ مِنْ زَواجِهِ الأَوَّلِ ، وَهِيَ في العِشْرينَ مِنْ عُمْرِها ، وَتَعيشُ في أَمْريكا . وَيَقولُ السَّيِّدُ روكاسل إنَّها ذَهَبَتْ إلى أَمْريكا ؛ لأَنَّها لَمْ تَأْتَلِفْ مَعَ زَوْجَتِهِ الثّانِيَةِ . و روكاسل لَطيفٌ مَعَ زَوْجَتِهِ ، وَلكِنْ ثَمَّةَ شَيْءٌ لَيْسَ عَلى ما يُرامُ في حَياةِ السَّيِّدَةِ . إنَّها حَزينَةٌ دائِماً ، وَكَثيراً ما أَراها تَبْكي .

« وَيُقيمُ في المَنْزِلِ زَوْجانِ آخَرانِ يَعْمَلانِ في خِدْمَةِ آلِ روكاسل، هُما السَّيِّدُ تولر وَزَوْجَتُه . وَلَمْ يَكونا عَلى وِفاقٍ مَعي ، وَأَنا لَمْ أُحِبُّهُما . وَلَمْ يَحْدُثْ ما يَلْفِتُ النَّظَرَ خِلالَ اليَوْمَيْنِ الأَوَّلَيْنِ . وَفي اليَوْمِ الثّالِثِ نَزَلَتِ السَّيِّدَةُ روكاسل لِتَناوُلِ طَعامِ الإِفْطارِ ، وَهَمَسَتْ بِشَيْءٍ ما لِزَوْجِها ؛ فَتَوَجَّهَ نَحْوي قائِلاً : «« آنِسَةُ هَنْتَر ، إنَّ زَوْجَتي تَرْغَبُ في أَنْ تَراكِ وَأَنْتِ مُرْتَدِيَةٌ الثَّوْبَ الأَزْرَقَ . إنَّهُ عَلى الفِراشِ في حُجْرَتِكِ ؛ فَهَلّا فَعَلْتِ ؟»»

« كانَ الثَّوْبُ الأَزْرَقُ عَلى فِراشي . لَمْ يَكُنْ جَديداً ، لَكِنَّهُ كانَ جَيِّدَ الخامَةِ وَالصُّنْعِ ، وَيَبْدو أَنَّ أَحَداً قَدْ لَبِسَهُ قَبْلي . وَارْتَدَيْتُ الثَّوْبَ



الَّذي ناسَبَني ، وَنَزَلْتُ إِلى الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ مِنَ المَنْزِلِ . وَسَرَّ مَنْظَري في الثَّوبِ الأَزْرَقِ السَّيِّدَ روكاسل وَزَوْجَتَهُ . وَكُنّا نَجْلِسُ في غُرْفَةٍ ذاتِ شُرْفَةٍ واسِعَةٍ تُطِلُّ عَلى الطَّريقِ . وَكانَتْ عِنْدَ الشُّرْفَةِ أَريكَةٌ ، وَطَلَبَتْ مِنّي السَّيِّدَةُ روكاسل أَنْ أَنْتَقِلَ إِلَيْها . أَمّا السَّيِّدُ روكاسل فَراحَ يَحْكي لِيَ الحِكاياتِ المُسَلِّيَةَ الهَزْلِيَّةَ ، وَكُنْتُ أَضْحَكُ ضَحِكاً مُتَواصِلاً . لَكِنَّ السَّيِّدَةَ لَمْ تَكُنْ تَضْحَكُ ، بَلْ ظَلَّتْ عَلى حُزْنِها . وَبَعْدَ ساعَةٍ تَقْريباً تَوَقَّفَ السَّيِّدُ روكاسل فَجْأَةً عَنِ الكَلامِ ، وَطَلَبَ مِنّي أَنْ أُبَدِّلَ ثَوْبي .

« بَعْدَ يَوْمَيْنِ حَدَثَ الأَمْرُ ذاتُهُ ، لَبِسْتُ الثَّوْبَ الأَزْرَقَ ، وَجَلَسْتُ عِنْدَ الشُّرْفَةِ ، وَرَوى لِيَ السَّيِّدُ روكاسل حِكاياتٍ مُضْحِكَةً ، ثُمَّ

أعْطاني كِتاباً ، وَطَلَبَ منّي أنْ أقْرَأ لَهُ . قَرَأتُ لَهُ مِنَ الكِتاب مُدَّةَ عَشْرِ دَقائِقَ ، لَكِنَّهُ طَلَبَ منّي فَجْأةً أنْ أكُفَّ عَنِ القِراءَةِ . وَدَهِشْتُ مِنْ تَصَرُّفِهِ دَهْشَةً بالِغَةً ؛ لأنَّني كُنْتُ في مُنْتَصَفِ إحْدى الجُمَلِ .

« كانَ عَلَيَّ دائِماً أنْ أجْلِسَ وَظَهْري إلى الشُّرْفَةِ ، وَكُنْتُ أتَساءَلُ : تُرى هَلْ كانَ يَحْدُثُ شَيْءٌ وَراءَ ظَهْري خارِجَ المَنْزِلِ ؟ وَخَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ ، فَجِئْتُ في اليَوْمِ التّالي مَعي بِمِرْآةٍ صَغيرَةٍ وَأخْفَيْتُها داخِلَ مِنْديلي . وَكانَ السَّيِّدُ روكاسل ماضِياً في رِوايَةِ حِكاياتِهِ الهَزْلِيَّةِ ، وَكُنْتُ أضْحَكُ مِنْها ضَحِكاً مُتَواصِلاً . وَرَفَعْتُ مِنْديلي إلى عَيْنَيَّ ، وَنَظَرْتُ في المِرْآةِ ؛ فَإذا بي أرى رَجُلاً يَقِفُ وَرائي عَلى الطَّريقِ ، وَيَنْظُرُ بِاتِّجاهِ المَنْزِلِ . كانَ ضَئيلَ الجِسْمِ ، وَيَرْتَدي حُلَّةً رَمادِيَّةَ اللَّوْنِ . وَاكْتَشَفَتِ السَّيِّدَةُ روكاسل وُجودَ المِرْآةِ ، فَقالَتْ مُخاطِبَةً زَوْجَها : « جِفْرو ، هُناكَ رَجُلٌ عَلى الطَّريقِ أمامَ المَنْزِلِ يُحَدِّقُ صَوْبَ الآنِسَةِ هَنْتَر . »

« سَألَني السَّيِّدُ روكاسل : « أهُوَ أحَدُ أصْدِقائِكِ ، يا آنِسَةُ ؟ »

« قُلْتُ : « لا ، أنا لا أعْرِفُ أحَداً هُنا . »

« قالَ : « إذاً ، أشيري إلَيْهِ أنْ يَنْصَرِفَ . »

« فَعَلْتُ ما أمَرَني بِهِ ، ثُمَّ طَلَبَتْ مِنّي السَّيِّدَةُ روكاسل أنْ أغادِرَ

الغُرْفَةَ . وَكانَ ذَلِكَ مُنْذُ أسْبوعٍ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الحين لَمْ أرْتَدِ الثَّوْبَ الأزْرَقَ ، ولَمْ أجْلِسْ عِنْدَ الشُّرْفَةِ ، كَما لَمْ أرَ الرَّجُلَ الضَّئيلَ عَلى الطَّريقِ .»

سَأَلَ هُولمْز : « هَلْ لاحَظْتِ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ؟»

تَابَعَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر حَديثَها قائِلَةً : « أجَلْ ، يا سَيِّدي ، كانَ هُناكَ بِناءٌ صَغيرٌ لَهُ شُرْفَةٌ ضَيِّقَةٌ قُرْبَ المَنْزِلِ ، أذْكُرُ أنَّ السَّيِّدَ روكاسل قَدْ أراني إيَّاهُ ذاتَ مَرَّةٍ ، وَقالَ : «« انْظُري عَبْرَ الشُّرْفَةِ .»»

« وَنَظَرْتُ ، فَإذا بي أرى كَلْبًا أسْوَدَ ضَخْمَ الحَجْمِ جِدًّا .

« قالَ السَّيِّدُ روكاسل : «« لا تَخافي ! إنَّهُ كَلْبي ، كارلو ، وَهُوَ مُتَوَحِّشٌ جِدًّا ، وَلَيْسَ هُناكَ مَنْ يَسْتَطيعُ التَّعامُلَ مَعَهُ سِوى السَّيِّدِ تولَر . إنَّهُ يرْبُطُهُ في الحَديقَةِ أثْناءَ اللَّيْلِ ؛ فَلا يَجْرُؤ أحَدٌ عَلى الاقْتِرابِ مِنَ المَنْزِلِ . وَلَوْ تَوَرَّطَ أحَدٌ وَاقْتَرَبَ مِنَ المَنْزِلِ فَإنَّ كارلو سَوْفَ يُمَزِّقُهُ شَرَّ مُمَزَّقٍ في الحالِ . لا تُغادِري المَنْزِلَ في اللَّيْلِ ، وَأقولُ هَذا حِرْصًا عَلى سَلامَتِكِ ، يا آنِسَةُ هَنْتَرْ .»»

« اكْتَشَفْتُ أمْرًا آخَرَ ؛ كُنْتُ ذاتَ مَساءٍ في حُجْرَتي ، أخْلَعُ ثِيابي ، وَكُنْتُ أبْحَثُ عَنْ مَكانٍ أضَعُها فيهِ ، وَكانَتْ حُجْرَتي ، بِهَذِهِ المُناسَبَةِ ، هِيَ حُجْرَةَ الآنِسَةِ روكاسل ، فَإذا بي أجِدُ بَعْضَ

المَلابِسِ الَّتي أعْتَقِدُ أنَّها كانَتْ تَخُصُّها ، وَقَدْ وَجَدْتُ تَحْتَ المَلابِسِ خَصْلَةً كَبيرَةً مِنَ الشَّعْرِ . خُيِّلَ لي بادِئَ الأمْرِ أنَّهُ مِنْ شَعْري ؛ فَقَدْ كانَ مِنَ اللَّوْنِ ذاتِه ، وَكُنْتُ حينَ قَصَّرْتُ شَعْري أحْتَفِظُ بِما قَصَصْتُهُ مِنْهُ ، فَنَظَرْتُ في حَقيبَتي فَإذا بِهِ لا يَزالُ حَيْثُ وَضَعْتُهُ فيها ، وَقارَنْتُ بَيْنَ الخَصْلَتَيْنِ فاتَّضَحَ لي أنَّهُما مِنْ لَوْنٍ واحِدٍ .

« وَهُناكَ أيْضاً حِكايَةُ الطَّابَقِ العُلْوِيِّ مِنَ المَنْزِلِ ؛ فَحُجُراتُ هَذا الطَّابَقِ غَيْرُ مَشْغولَةٍ ، وَالسَّيِّدُ تولَر وَزَوْجَتُهُ يَعيشانِ في طابَقٍ دونَ الطَّابَقِ العُلْوِيِّ ، والبابُ الَّذي يُؤَدّي إلى الطَّابَقِ العُلْوِيِّ مُغْلَقٌ دائِماً. وَرَأَيْتُ ذاتَ مَرَّةٍ السَّيِّدَ روكاسل يَخْرُجُ مِنْ هَذا البابِ وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ غَضَبٌ شَديدٌ . وَدَخَلْتُ إلى الحَديقَةِ مَرَّةً وَنَظَرْتُ إلى شُرُفاتِ الطَّابَقِ العُلْوِيِّ ، فَإذا بي أرى عَلى إحْداها ألْواحاً تَحْجُبُ ما بِداخِلِها . وَرآني السَّيِّدُ روكاسل وَقْتَها في الحَديقَةِ ، فَسَألَني : « ماذا تَفْعَلينَ هُنا ؟»

« قُلْتُ : « لَقَدْ رَأَيْتُ تِلْكَ النّافِذَةَ لِتَوّي . إنَّ عَلَيْها ألْواحاً .»

« قالَ السَّيِّدُ روكاسل : « نَعَمْ ، إنَّني ألْتَقِطُ بَعْضَ الصُّوَرِ أحْياناً ، وَأعالِجُها في تِلْكَ الغُرْفَةِ .»

« أظُنُّ أنَّهُ يَكْذِبُ ، يا سَيِّدي . وَرَغِبْتُ في رُؤْيَةِ الغُرْفَةِ بِنَفْسي ،

وَقَدْ تَيَسَّرَ لي ذَلِكَ أمْسِ . لَقَدْ خَرَجَ السَّيِّدُ تولر وَزَوْجَتُهُ مَعَ الصَّبِيِّ، وَنَسِيا أَنْ يُغْلِقا البابَ المُؤدِّيَ إلى الطَّابَقِ الأعْلى ؛ فَصَعِدْتُ الدَّرَجَ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ جَميعَ الحُجُراتِ كانَتْ مَفْتوحَةً إلّا واحِدَةً . وَحاوَلْتُ دَفْعَ البابِ فَلَمْ يَنْفَتِحْ ، ثُمَّ سَمِعْتُ حَرَكَةً داخِلَ الغُرْفَةِ . لا بُدَّ أَنَّ هُناكَ مَنْ يُقيمُ في هَذِهِ الحُجْرَةِ . وَشَعَرْتُ بِالخَوْفِ ، وَانْدَفَعْتُ أَنْزِلُ الدَّرَجَ مُسْرِعَةً ، فَإذا بِالسَّيِّدِ روكاسِل يَقِفُ لي عِنْدَ نِهايَةِ الدَّرَجِ . وَكانَ بادِيَ الغَضَبِ ، فَسَأَلَني : «ماذا كُنْتِ تَفْعَلِينَ ؟»

« قُلْتُ : «كُنْتُ أُلْقي نَظْرَةً عَلى المَنْزِلِ . المَكانُ بِأَعْلى مُوحِشٌ إلى حَدٍّ كَبير !»

« قالَ : «لِماذا تَعْتَقِدينَ أَنَّنا نُبْقي هَذا البابَ مُغْلَقاً دائِماً ؟»

« أَجَبْتُ : «لا أَدْري .»

« قالَ : «لكيْ لا يَقْتَرِبَ أَحَدٌ مِنْهُ .»

« قُلْتُ : «لَوْ أَنَّني عَرَفْتُ ...»

قاطَعَني صائِحاً : «حَسَنٌ ، أَنْتِ تَعْرِفينَ الآنَ . لا تَدْخُلِي هَذا المَكانَ ثانِيَةً . إنَّكَ إنْ تَفْعَلي أُلْقِ بِكِ إلى الكَلْبِ !»

« وَهُرِعْتُ إلى غُرْفَتي ، وَكُنْتُ في حالَةِ خَوْفٍ شَديدٍ . وَفَكَّرْتُ

فيكَ ، يا سَيِّدُ هُولمْز ، فَقَدِ احْتَجْتُ إلى مُساعَدَتِكَ . لَقَدْ مَلأني البَيْتُ بِالذُّعْرِ ، كَما أخافَني كُلُّ مَنْ في البَيْتِ ، وَبِخاصَّةٍ السَّيِّدُ روكاسل وَالسَّيِّدُ تولَر وَزَوْجَتُهُ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَمْنَعُ عَوْدَتي إلى لَنْدَن ، لكِنَّ شَيْئًا ما كانَ عَلى غَيْرِ ما يُرامُ في المَنْزِلِ . ما سِرُّ حُجْرَةِ الطّابَقِ العُلْويِّ ؟ إنَّ أقْرَبَ قَرْيَةٍ إلى المَنْزِلِ تَبْعُدُ حَوالى كيلو مِتْرَيْن عَنْهُ ؛ لِذا تَوَجَّهْتُ إلى تِلْكَ القَرْيَةِ وَأَبْرَقْتُ إلَيْكَ . وَقَدْ حَضَرْتُ إلى هُنا صَباحَ هَذا اليَوْم ، وَعَلَيَّ أنْ أعودَ قَبْلَ السّاعَةِ الثّالِثَةِ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ ؛ لأنَّ السَّيِّدَ روكاسل وَزَوْجَتَهُ سَوْفَ يَقومانِ بِزِيارَةِ بَعْضِ أصْدِقائِهِما وَسَوْفَ يُمَضّونَ الأمْسِيَّةَ عِنْدَهُمْ ، وَعَلَيَّ أنْ أعْنى بِالصَّبِيِّ أثْناءَ غِيابِهِما . ماذا أفْعَلُ ؟»

نَهَضَ هُولمْز عَنْ كُرْسِيِّهِ وَراحَ يَذْرَعُ الغُرْفَةَ جيئَةً وَذِهابًا ، ثُمَّ سَأَلَ الآنِسَةَ هَنْتَر : « أيْنَ سَيَكونُ السَّيِّدُ تولَر هَذا المَساءَ ؟»

أجابَتْ : « في الطَّريقِ إلى القَرْيَةِ . إنَّهُ يَعودُ حَوالى السّاعَةِ الثّامِنَةِ .»

قالَ هُولمْز : « سَيَكونُ السَّيِّدُ روكاسل وَزَوْجَتُهُ خارِجَ المَنْزِلِ أيْضًا ؟ هَذا يَعْني أنَّ السَّيِّدَةَ تولَر سَتَكونُ في المَنْزِلِ وَحْدَها . هَلْ لِلمَنْزِلِ قَبْوٌ ؟»

قالَتِ الآنِسَةُ : « أجَلْ .»

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ أَثْبَتٍّ أَنَّكِ غايَةٌ في الشَّجاعَةِ . هَلْ تَسْتَطيعينَ المَزيدَ ؟»

أجابَتِ الآنِسَةُ : « سَوْفَ أحاوِلُ . ماذا تُريدُني أنْ أفْعَلَ ؟»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ أحْضُرُ إلى مَنْزِلِ (أَشْجار الزّان النُّحاسِيَّة)، مَعَ واطْسُن ، في تَمامِ السّاعَةِ السّابِعَةِ . وَسَتَكونُ السَّيِّدَةُ تولَر وَحْدَها في المَنْزِلِ . اطْلُبي إلَيْها إخْراجَ شَيْءٍ ما مِنَ القَبْو ثُمَّ احْبِسيها فيهِ .»

قالَتِ الآنِسَةُ : « سَأَفْعَلُ ما تُريدُ .»

قالَ هُولْمز : « سَوْفَ نَعْرِفُ في الحالِ سِرَّ حُجْرَةِ الطّابَقِ العُلْويِّ . إنَّني أعْرِفُ الآنَ شَيْئاً عَنْ هٰذا السِّرِّ . لَقَدْ أحْضَروكِ إلى المَنْزِلِ لِتَحُلّي مَحَلَّ أحَدٍ . إنَّ مَنْ تَحُلّينَ مَحَلَّهُ مَوْجودٌ في حُجْرَةِ الطّابَقِ العُلْويِّ ذاتِ الألْواحِ .»

سَأَلَتِ الآنِسَةُ هنتر : « مَنْ عَساهُ يَكونُ ، يا سَيِّدي ؟»

أجابَ هُولْمز : « أعْتَقِدُ أنَّها أليس ابْنَةُ السَّيِّدِ روكاسل . يَقولُ إنَّها في أمْريكا ، وَلٰكِنَّني لا أعْتَقِدُ ذٰلِكَ . لَقَدْ اخْتارَكِ لأنَّكِ تُشْبِهينَها تَماماً . إنَّ الشَّعْرَ الَّذي وَجَدْتِهِ تَحْتَ المَلابِسِ هُوَ شَعْرُها ، وَهُوَ بِلَوْنِ شَعْرِكِ ، وَالرَّجُلَ الَّذي رَأَيْتِهِ عَلى الطَّريقِ قَدْ يَكونُ صَديقَ أليس ، وَرُبَّما كانَ راغِباً في الزَّواجِ بِها . لَقَدْ طَلَبوا مِنْكِ أنْ تَرْتَدي ثَوْبَ

أليس وَتَجْلِسي عِنْدَ الشُّرْفَةِ عَلى حينَ يَرْوي لَكِ السَّيِّدُ روكاسل الحِكاياتِ المُسَلِّيَةَ المُضْحِكَةَ ، وَكُنْتِ تَضْحَكينَ لَها ، وَكانَ صَديقُ أليس يَرى ذَلِكَ . ثُمَّ طَلَبوا إِلَيْكِ صَرْفَهُ ؛ وَبِهذا اعْتَقَدَ الرَّجُلُ أنَّ أليس لَمْ تَعُدْ تُحِبُّهُ . وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ التَّحَدُّثَ إِلَيْها مُباشَرَةً لأنَّ الكَلْبَ يَحْرُسُ المَنْزِلَ في اللَّيْلِ .»

صاحَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « أَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلى صَوابٍ ، يا سَيِّدي . عَلَيْنا أنْ نُساعِدَ تِلْكَ الفَتاةَ المِسْكينَةَ .»

وَ وَصَلْنا ذَلِكَ المَساءَ إِلى مَنْزِلِ (أَشْجارِ الزّانِ النُّحاسِيَّةِ) في تَمام السّابِعَةِ ، وَكانَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر بِانْتِظارِنا .

سَأَلَ هُولْمز : « هَلْ فَعَلْتِ ما طَلَبْتُهُ مِنْكِ ؟»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « أَجَلْ ، إِنَّ السَّيِّدَةَ تولَر في قَبْوِ المَنْزِلِ الآنَ ، وَلَيْسَ بِمَقْدورِها فَتْحُ البابِ . عَلَيْنا أنْ نُسْرِعَ ؛ لأَنَّ تولَر قَدْ يَكونُ في طَريقِ العَوْدَةِ الآنَ .»

صَعِدْنا إِلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَدَلَّتْنا الآنِسَةُ هَنْتَر عَلى الحُجْرَةِ المُغْلَقَةِ ، وَكانَ بابُها مُغْلَقاً .

قالَ هُولْمز : « آمُلُ أنْ لا يَكونَ الأَوانُ قَدْ فاتَ ، فَأَنا لا أَسْمَعُ شَيْئاً يَصْدُرُ عَنْ الحُجْرَةِ . أَعِنّي ، يا واطْسُن .»

وَأعَنْتُهُ عَلى دَفْعِ البابِ ؛ فَانْفَتَحَ في الحالِ . لَمْ يَكُنْ في الحُجْرَةِ أحَدٌ ، وَكانَتْ لَها في السَّقْفِ نافِذَةٌ ، وَكانَتْ مَفْتوحَةً .

قالَ هولْمز : « لَقَدْ أخَذَها أبوها .»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « لَكِنْ كَيْفَ ؟»



وَارْتَقى هُولْمز مِنْصَدَةً كانَتْ في الحُجْرَةِ ، وَنَظَرَ عَبْرَ الشُّرْفَةِ ثُمَّ قالَ : « أرى سُلَّماً مُسْنَداً إلى السَّقْفِ .»

قالَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « ذَلِكَ أمْرٌ غَرِيبٌ . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ سُلَّمٌ عِنْدَما غادَرَ السَّيِّدُ روكاسل .»

قالَ هُولْمز : « أَنْصِتي قَليلاً ! هُناكَ مَنْ يَصْعَدُ الدَّرَجَ . قَدْ يَكونُ السَّيِّدَ روكاسل . مُسَدَّسُكَ مَعَكَ ، يا واطْسُن ، فَكُنْ مُسْتَعِدًّا . قَدْ يَكونُ الرَّجُلُ خَطيراً .»

وَظَهَرَ روكاسل عِنْدَ البابِ ، وَكانَتْ في يَدِهِ هِراوَةٌ ، فَقَفَزَ شِرْلوك هُولْمز إلى الأمامِ ، وَصاحَ : « أَيْنَ ابْنَتُكَ ؟»

صَرَخَ السَّيِّدُ روكاسل : « وَأنا أسْألُكَ السُّؤالَ نَفْسَهُ . لَقَدْ أمْسَكْتُ بِكَ ، وَسَتَنْدَمُ على فَعْلَتِكَ كَثيراً !» ثُمَّ اسْتَدارَ وَنَزَلَ الدَّرَجَ مُسْرِعاً .

صاحَتِ الآنِسَةُ هَنْتَر : « سَوْفَ يُحْضِرُ الكَلْبَ !»

قالَ هُولْمز : « عَلَيْنا بِغَلْقِ البابِ الأمامِيِّ .»

وَأسْرَعْنا نَنْزِلُ الدَّرَجَ ، ثُمَّ سَمِعْنا نُباحَ الكَلْبِ وَصَيْحَةً فَظيعَةً ، وَدَخَلَ رَجُلٌ عَجوزٌ مِنَ البابِ الجانِبِيِّ ، هُوَ السَّيِّدُ تولَر .

صاحَ : « يا إلهي ! لَقَدْ أطْلَقَ أحَدُهُمْ الكَلْبَ . إنَّني لَمْ أطْعِمْهُ مُنْذُ يَوْمَيْنِ . أسْرِعوا بِالهَرَبِ قَبْلَ فَواتِ الآوانِ .»

انْدَفَعْنا بِرُفْقَةِ هُولْمز خارِجَ المَنْزِلِ ، وَرَأيْنا الكَلْبَ الأسْوَدَ الضَّخْمَ يَنْقَضُّ عَلى السَّيِّدِ روكاسل الَّذي كانَ مَطْروحًا عَلى الأرْضِ . وَكانَ الكَلْبُ يُمَزِّقُ بِأنْيابِهِ رَقَبَةَ الرَّجُلِ المِسْكينِ . وَأسْرَعْتُ نَحْوَ الكَلْبِ وَأفْرَغْتُ رَصاصَةً في رَأسِهِ فَصَرَعْتُهُ ، ثُمَّ قُمْنا بِحَمْلِ السَّيِّدِ روكاسل إلى داخِلِ المَنْزِلِ ، وَكانَتْ إصابَتُهُ بالِغَةً .

وَدَخَلَتْ امْرَأةٌ مَمْشوقَةُ القَدِّ إلى الغُرْفَةِ .

صاحَتِ الآنِسَةُ هنتَر بِدَهْشَةٍ شَديدَةٍ : « السَّيِّدَةُ تولر !»

أجابَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ أطْلَقَ سَراحي السَّيِّدُ روكاسل ، وَأخْبارُ الآنِسَةِ روكاسل كُلُّها عِنْدي . لِمَ لَمْ تَسْألِيني عَنْها ، يا آنِسَةُ هنتر ؟»

قالَ هُولْمز : « يَبْدو أنَّ السَّيِّدَةَ تولَر تَعْرِفُ عَنِ الأمْرِ أكْثَرَ مِمّا نَعْرِفُ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ تولَر : « هَذا صَحيحٌ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولْمز : « إذًا أخْبِرينا بِما تَعْرِفينَ .»

سَألَتِ السَّيِّدَةُ تولَر : « هَل الشُّرْطَةُ في طَريقِهِمْ إلَيْنا ؟»



قالَ هُولْمز : « قَدْ يكونُ الأمْرُ كَذلِكَ .»

قالَتْ : « لَقَدْ ساعَدْتُ الآنِسَةَ أليس . قولوا ذَلِكَ لِلشُّرْطَةِ . لَمْ تكُنْ سَعيدَةً هُنا أَلْبَتَّةَ . ثُمَّ الْتَقَتْ والسَّيِّدَ فاوْلَر ، وَأرادتِ الزَّواجَ بِهِ . وَكانَ لَدَيْها مالٌ وَرِثَتْهُ عَنِ المَرْحومَةِ والِدَتِها . وَطَلَبَتْ إلى أبيها أنْ يُعْطِيَها مالَها ، لَكِنَّ السَّيِّدَ روكاسل رَفَضَ ذَلِكَ . إنَّ السَّيِّدَ روكاسل ضِدُّ زَواجِ ابْنَتِهِ ؛ لأنَّهُ يُريدُ أنْ يَحْتَفِظَ بِالمالِ لِنَفْسِهِ . لِذا أغْلَقَ عَلَيْها بابَ الحُجْرَةِ وَنَوافِذَها ؛ مِمّا أدّى إلى مَرَضِها مَرَضًا عُضالاً أَلْزَمَهُمْ قَصَّ شَعْرِها . وَعِنْدَما تَحَسَّنَتْ صِحَّتُها عاوَدَتْها رَغْبَةُ الزَّواجِ بِالسَّيِّدِ فاوْلَر .»

قالَ هُولْمز : « وَهكذا حَبَسَها السَّيِّدُ روكاسل في تِلْكَ الحُجْرَةِ مِنَ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَأَحْضَرَ الآنِسَةَ هَنْتَر لِتَحُلَّ مَحلَّها ، وَطَلَبَ مِنْها صَرْفَ السَّيِّدِ فاوْلَر .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ تولَر : « هَذا صَحيحٌ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولْمز : « لكِنَّ السَّيِّدَ فاوْلَر لَمْ يَنْصَرِفْ ؛ لأَنَّهُ لا يَزالُ يُحِبُّ الآنِسَةَ روكاسل ، وَقَدْ تَحَدَّثَ إِلَيْكِ حَوْلَ ذَلِكِ عِنْدَما كُنْتِ في القَرْيَةِ ، وَأَعْطاكِ شَيْئًا مِنَ المالِ لِقاءَ مُساعَدَتِكِ إِيّاهُ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ تولَر : « إِنَّ السَّيِّدَ فاوْلَر رَجُلٌ لَطيفٌ .»

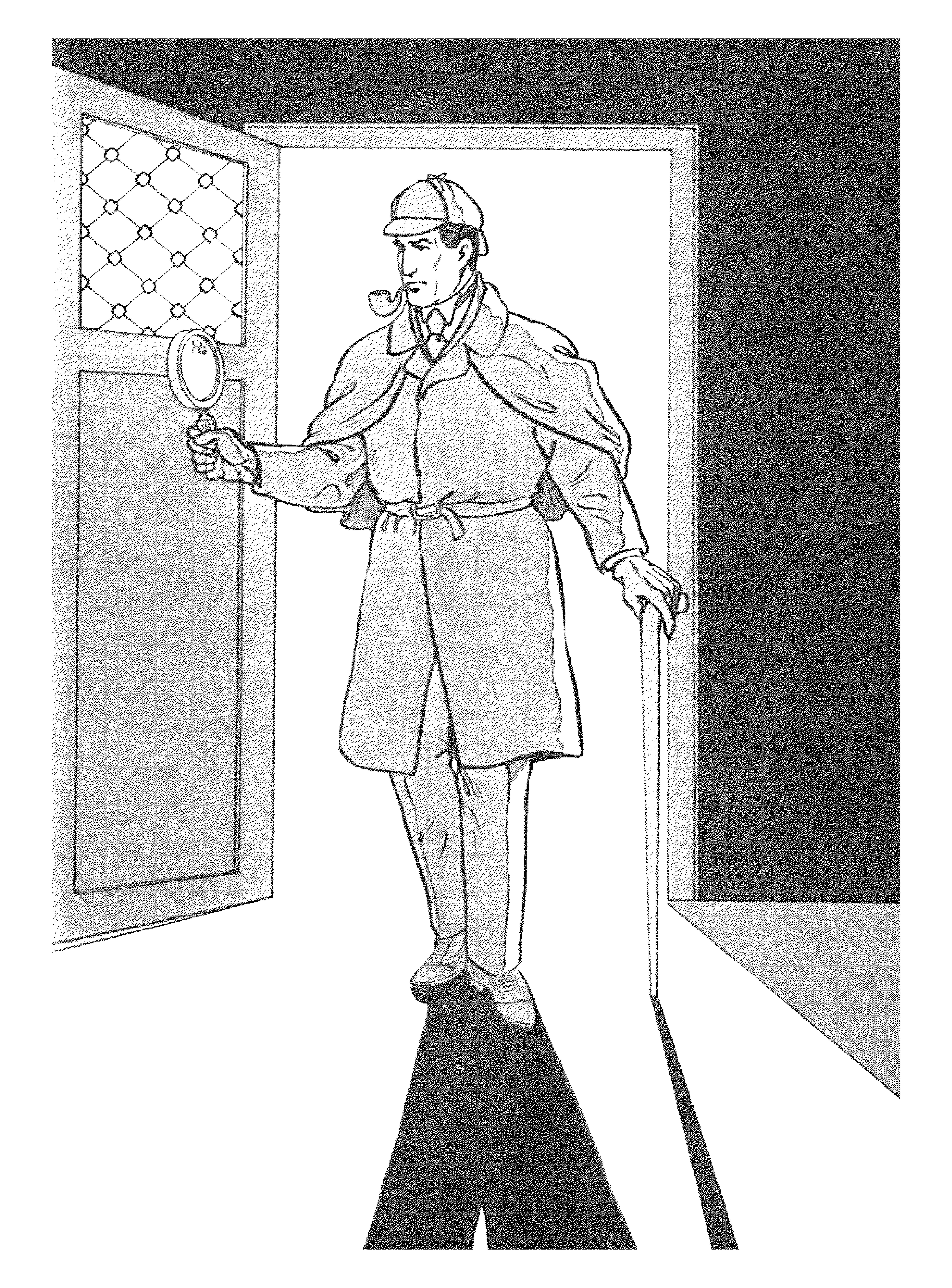
قالَ هُولْمز : « وَقَدْ أَخْبَرْتِهِ أَنَّ زَوْجَكِ سَيَكونُ في القَرْيَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ .»

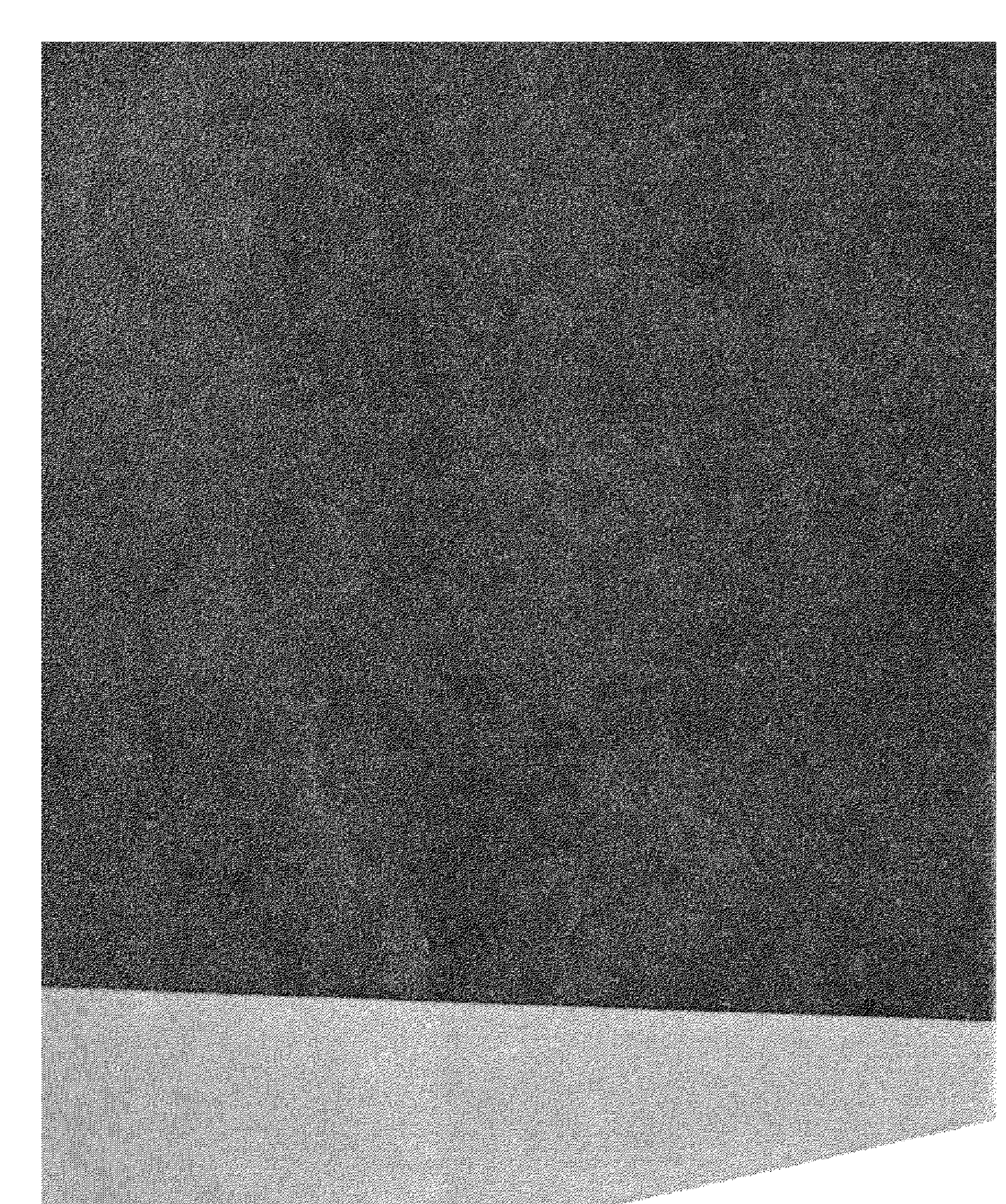
قالَتْ : « هَذا صَحيحٌ ، يا سَيِّدي ، وَقَدْ وَضَعْتُ لَهُ سُلَّماً عِنْدَ المَنْزِلِ .»

قالَ هُولْمز : « شُكْرًا لَكِ ، يا سَيِّدَةُ تولَر . ها قَدْ عادَتِ السَّيِّدَةُ روكاسل وَمَعَها طَبيبٌ ؛ لِذا فَإِنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَرْحَلَ الآنَ ، يا واطْسُن . وَيَنْبَغي أَنْ نَصْحَبَ الآنِسَةَ هَنْتَر إِلى وينشستر ، فَلَيْسَ بِإِمْكانِها البَقاءُ هُنا بَعْدَ الآنَ .»

وَهَكذا انْجَلى سِرُّ مَنْزِلِ (أَشْجار الزّان النُّحاسِيَّة) . وَقَدْ تَمَكَّنَتْ

مِنْ إنْقاذِ حَياةِ السَّيِّدِ روكاسل ، لَكِنَّهُ لَمْ يُشْفَ مِنْ إصابَتِهِ شِفاءً تامًّا ، فَقَدْ نَجَمَ عَنْها عاهَةٌ مُسْتَديمَةٌ . أمّا ابْنَتُهُ فَقَدْ تَزَوَّجَتْ بِالسَّيِّدِ فاوْلَر ، وَهِيَ تَعيشُ مَعَهُ عيْشَةً هانِئَةً في أسْتُراليا . وَكانَ إعْجابُ هُولْمز بِالآنِسَةِ ڤيوليت هنتر إعْجاباً شَديداً ، إلّا أنَّها لَمْ تَعُدْ مِحْوَرَ قَضِيَّةٍ ؛ لِذا فَما أَسْرَعَ مانَسِيَها ! وَهِيَ الآنَ مُعَلِّمَةٌ مَحبوبَةٌ في إحْدى مَدارِسِ لَنْدَن .







مغامرات شرلوك هولمز